

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فِي السُّنَّةِ وَالنَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ

obeikandi.com

منهج الإيمان والرحمة في رحلة الحياة

أخرج الإمام أحمد والشيخان عن أنس بن مالك بن صعصعة ، أن النبي ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به ، وكان مما قال في هذا الحديث الصحيح : إن جبريل عليه السلام شقَّ عن صدره واستخرج قلبه الشريف ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً وحكمة ، فغسل قلبي ، ثم حشني ثم أعيد .

وأخرج الشيخان من طريق يونس عن الزهري عن أنس قال : كان أبوذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال : فرج سقف بيتي وأنا في مكة ، فنزل جبرائيل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدرى وأطبقه .

ثم بدأت الرحلة .

وكان أول مشهد شهده رسول الله ﷺ هو مشهد قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال النبي ﷺ : يا جبرائيل ما هذا : قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعائة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه .

وأول مشهد إذن بعد امتلاء القلب حكمة وإيماناً هو مشهد الجهاد ، وما من شك في أن القلب إذا امتلأ إيماناً وحكمة فإن الجهاد يصبح في أوائل ما يحافظ عليه من شعارات جهاد النفس لتتركى ، وتركية النفس لا حد لها ، والصفاء لا نهاية تحده ، وكلما سما الإنسان في الصفاء درجة قرب من الله أكثر ، والقرب من الله لا نهاية له ، وهذا القرب هو غاية المؤمنين ، ومن وقف منه عند حد معتقداً أن هذا هو نهاية المطاف فإن هذا يكون دليلاً على أن همة السابقين السابقين .

وجهاد الأسرة حتى تستقيم والله سبحانه وتعالى يقول : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ، وقودها الناس والحجارة . .) ووقاية الأهل من النار هو جهادهم حتى يستقيموا ويمتنعوا عن الوقوع في المعصية فذلك هو وقايتهم .

وجهاد المجتمع ليكون مجتمعاً مؤمناً وهذا الجهاد عنصر هام من عناصر خيرية الأمة الإسلامية والله سبحانه وتعالى يقول :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله) .

ويقول سبحانه :

(لمن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم . .) ورسول الله ﷺ يقول فيما رواه الترمذى وأبو داود :

والذى نفسى بيده لتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر أوليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم .

ومن أسمى أنواع الجهاد هو جهاد العدو بالسلاح واللسان والمال ، والله سبحانه وتعالى يقول : (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) .

ويقول : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم . . . العظيم) . هذا هو الجهاد الذى رأى رسول الله ﷺ مشهده أول ما رأى من مشاهد بعد أن ملئ قلبه الشريف حكمة وإيماناً . ولقد وصل الأمر فى عقاب التاركين للجهاد أن يندرهم رسول الله ﷺ إنذاراً شديداً . فمن أبى بكر رضى الله عنه - فيما رواه الطبرانى بإسناد حسن - قال : قال رسول الله ﷺ : « ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب » .

فى محبة الرسول

يقول الله تعالى فى حديث قدسى :

(من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشيء أحب إلىّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالتواقل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى أعطيته ، ولئن استعاذنى لأعبدنه) .

وفى هذا الحديث الشريف يبدأ الله سبحانه بالتوجيه فى قوة إلى صفاء القلب وطهارة النية لأوليائه .

وأوليأؤه هم :

(الذين آمنوا وكانوا يتقون) .

ومن عاداهم فإنما يعادى المؤمن التقي .

ونتيجة هذه العداوة ما يقوله الله تعالى :

« آذنته بالحرب » .

ثم يرسم الله سبحانه الطريق إلى حبه : وأول خطوة في هذا الطريق أداء ما فرضته عليه . ولن يتأتى حب الله سبحانه دون الشرط الأول : شرط القرب منه سبحانه ، وهو أداء الفرائض . والحب دون أداء الفرائض زيف وكذب . بل إن أداء الفرائض شرط لحسن الظن بالله . لقد ترك قوم العمل وقالوا : نحن نحسن الظن بالله ، وكذبوا ، كما يقول رسول الله ﷺ ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل .

لا بد من أداء الفرائض وإلما كان لمهلها إلى القرب من الله تعالى من سبيل ، ومع أداء الفرائض في جو القرب - الإكثار من النوافل ، فإذا أكثر من النوافل أحبه الله تعالى . ويترتب على حب الله تعالى للعبد هذا الخير الكثير الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي .

ويربط أسلافنا - رضوان الله عليهم - ربطاً محكماً بين محبة الله سبحانه واتباع رسول الله ﷺ متناسقين في ذلك مع توجيه الله سبحانه .

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) .

وهذا الربط معناه الربط بين محبة الله تعالى والعمل .

ومقدمات محبة الله تعالى هي العمل ، ونتيجة محبة الله هي العمل ، يقول الإمام أبو سعيد الخراز : وبلغنا عن الحسن البصري رضى الله عنها أن أناساً قالوا على عهد رسول الله ﷺ : يا رسول الله ، إنا نحب ربنا حباً شديداً فجعل الله تعالى لمحبه علماء وأنزل عز وجل : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) .

فمن صدق المحبة اتباع الرسول ﷺ في هديه وزهده وأخلاقه ، والتأسي به في الأمور ، والإعراض عن الدنيا وزهرتها وبهجتها ، فإن الله عز وجل جعل محمداً ﷺ علماً ودليلاً وحجة على أمته .

ومن صدق المحبة لله تعالى إيثار محبة الله عز وجل في جميع الأمور على نفسك وهواك ، وأن تبدأ في الأمور كلها بأمره قبل أمر نفسك ويقول :

فعلامة الحب الموافقة للمحبوب ، والتجارى مع طرقاته في كل الأمور ، والتقرب إليه بكل حيلة ، والهرب من كل ما لا يعينه على مذهبه .

أما عن صلة المحبة بالإيمان فإن الإمام الغزالي يقول : وقد جعل رسول الله ﷺ الحب لله من شرط الإيمان في أخبار كثيرة ، إذ قال أبو رزین العقيلي : يا رسول الله ، ما الإيمان ؟ قال : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

وفي حديث آخر :

« لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين » .

وفي رواية : ومن نفسه .

كيف وقد قال الله تعالى :

(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين) .
وإنما أجرى ذلك في معرض التهديد والإنكار .

ومن أجمل تعبيرات المحبين عن شعورهم ما يقوله يحيى بن معاذ . إلهي إني مقيم بفنائك ، مشغول بفنائك . صغيراً أخذتني إليك ، وسريلتي بمعرفتك ، وأمكنتني من لطفك ، ونقلتني في الأحوال ، وقلبتني في الأعمال : سترًا وتوبة وزهدًا وشوقًا ، ورضًا وحبًا ، تسقيني من حياضك ، وتمهلني في رياضك ملازمًا لأمرك ، ومشغوفًا بقولك . . ولما طرَّ شاربي . ولاح طاثري ، فكيف أنصرف اليوم عنك كثيرًا ، وقد اعتدت هذا منك صغيرًا ، فلي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة إليك هممة ، لأنني محب وكل محب بجيبه مشغوف ، وعن غير حبيبه مصروف . وبعد : فإن ثمرة محبة الله تعالى هي ما قاله سبحانه عن أوليائه : (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) .

وهي أيضاً أن يجد حلاوة الإيمان . يقول رسول الله ﷺ : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان :

- ١ - أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .
 - ٢ - وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله .
 - ٣ - وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار .
- والآن نتحدث إن شاء الله عن المحبة عند الشبلي أما عن أسبابها فإنها فيما يرى نتيجة (الهمة) والهمة عند الصوفية هي التشمير والجد في العبادة ويقول الشبلي : إن من قلت همته ضعفت محبته فع الهمة إذن صعوداً وهبوطاً تكون المحبة صعوداً وهبوطاً .

كفي حزناً بالواله الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة قفرا
وسئل مرة عن أعجب شيء فقال : من عرف الله ثم عصاه .

في الاقتداء برسول الله ﷺ

ورسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة إنه الأسوة الحسنة في أقواله وأفعاله وأحواله : يقول الله تعالى :

(لقد كان لكم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) ويقول الشيخ الصاوي في شرحه على تفسير الجلالين « الاقتداء برسول الله ﷺ واجب في الأقوال والأفعال والأحوال لأنه لا ينطق عن هوى ، ولا يفعل عن هوى بل جميع أفعاله وأقواله وأحواله عن ربه ، لذا قال العارف :

وحصل بالهدى في كل أمر فليس تشاء إلا ما يشاء » ا . هـ .

والله سبحانه وتعالى يقول في سورة النجم : (وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى) .

وإذا كان الاقتداء برسول الله ﷺ واجباً فإن له شروطاً لا يتأق الاقتداء الصحيح إلا بتحقيقها ، وقد ذكرت الآية الكريمة هذه الشروط .

والشرط الأول منها : أن يرجو الإنسان الله سبحانه وتعالى : ورجاء الله تعالى قد حدده الله سبحانه في القرآن الكريم بقوله :

(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) .

فالعامل الصالح وعدم الشرك في العبادة أمران لازمان لمن كان يرجو لقاء الله في صدق . ويقول الإمام ابن كثير في ذلك :

وهذان ركنا العمل المتقبل : لا بد أن يكون خالصاً لله ، صواباً على شريعة رسول الله ﷺ . وعن طاوس قال :

قال رجل : يا رسول الله إني أفق الموقف أريد وجه الله ، وأحب أن يرى موطنى . فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئاً حتى نزلت هذه الآية .

(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) .

ورجاء اليوم الآخر هو الشرط الثاني والتأسي برسول الله ﷺ إنما يتمثل في العمل لهذا اليوم حتى يلقي الله فيه وهو عنه راض .

ويصف الله سبحانه الذين لا يرجون لقاءه ، ولا يرجون اليوم الآخر فيقول : (إن الذين

لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، والذين هم عن آياتنا غافلون ، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون .

وبعد ، فإن الشرط الأخير في الوصول إلى التأسى برسول الله ﷺ هو الذكر الكثير . ولقد سأل رجل رسول الله ﷺ قائلاً :

إن شرائع الإسلام كثرت عليّ ، فأخبرني بشيء أتشبث به ، فقال له ﷺ لا يزال فوك رطباً من ذكر الله .

الله سبحانه وتعالى يقول : (واذكروا الله كثيراً لعلكم تتقون) .

كان أصحاب رسول الله ﷺ يقتدون به في كل شيء . . . أخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن سعيد بن يسار قال : كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما في طريق مكة ، فلما خشيت الصبح نزلت فأوترت ، فقال ابن عمر رضي الله عنهما : أليس لك في رسول الله أسوة حسنة ؟ قلت : بلى . قال : فإنه كان يوتر على البعير .

وأخرج البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سئل عن رجل معتمر طاف بالبيت أيقع على امرأته قبل أن يطوف بالصفاء والمروة ؟ فقال : قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين ، وسعى بين الصفاء والمروة ثم قرأ : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) .

أخرج أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه أكب على الركن فقال : إني لأعلم أنك حجر ولو لم أر رسول الله ﷺ قبلك واستلمت ما استلمت وما قبلت . لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة .

في سيادة الرسول في التشهد وغيره

كان رسول الله ﷺ متواضعاً لا يرى إلا جانب العبودية لله سبحانه وتعالى وينأى عن كل ما يمكنه أن يظهر فيه بعد ذلك .

فلما سأله الصحابة كيف نصلي عليك قال : قولوا : اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد .

فلم يذكر اسمه ﷺ بأوصاف السيادة في هذا المجال . ولكن الرسول ﷺ في معرض الحديث عما أنعم الله به عليه يقول فيما رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة ، أنا سيد ولد آدم يوم القيامة

ولا فخر . ويبدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ - آدم فمن سواه - إلا تحت لوائى وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر ، فنحن أمام موقفين : موقف الوقوف عند حد تعليم الرسول ﷺ للصحابة ، فلا تذكره ﷺ بوصف من أوصاف السيادة . وموقف الوقوف مع ما يستحقه ﷺ من أوصاف السيادة مما تحدث ﷺ عنها في موطن آخر ، ويحمل تركه هذا الوصف في جواب الصحابة على أنه ، تواضع منه ﷺ حيث ترك ذلك التمجيل والاحترام ليذكره بألفاظ السيادة من أراد وهو ما نراه ، والأمر مع ذلك متروك لرغبة المسلم ولكل وجهة وكلتا الوجهتين سليمة لا غبار عليها ، بقى أن نقول إن بعض الناس غالى في ترك النبي ﷺ بألفاظ السيادة ، فحرم ذلك ، ولما لم يجد له مستنداً من الشرع اخترع من الأحاديث ما يوافق هواه ألا وهو حديث : (لا تسيدونى فى الصلاة) إنه ليس بحديث إنه كما يقول السخاوى وغيره من علماء الحديث . لا أصل له .

ومما له مغزاه في هذا الموطن أن الرسول ﷺ قال : لبعض الصحابة وقد حضر سعد رضى الله عنه . قوموا لسيدكم ، ويقول سيدنا عمر رضى الله عنه فيما رواه البخارى : أبوبكر سيدنا وأعتق سيدنا - يعنى بلالا ، وإذا كان بلال سيدنا وأبوبكر سيدنا فمن باب أولى الرسول ﷺ صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله .

في صفة خاتم النبي ﷺ

وردت الأحاديث الصحيحة في صفة خاتم النبي ﷺ وما عليه من النقوش ، روى الترمذى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنه أن النبي ﷺ صنع خاتماً من ذهب فتختم به في بيته ، ثم جلس على المنبر فقال : « إني كنت اتخذت هذا الخاتم في يميني » ، ثم نبذه ونبذ الناس خواتيمهم . وبذلك بين حرمة اتخاذ الخواتم من الذهب .

وكان ﷺ يلبس الخاتم في يده اليمنى قال الترمذى : وهذا أصح شيء روى عن النبي ﷺ في هذا الباب وكان خاتمه من الفضة نقش به وكان هذا النقش كما تبينه رواية الترمذى عن أنس ثلاثة أسطر : محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر .

ولقد كان النبي ﷺ يراعى حرمة اسم الله على الخاتم فكان إذا دخل الخلاء لقضاء الحاجة نزع خاتمه .

أما عن سبب وجود اسم الله على هذا الخاتم فلأن الرسول ﷺ كان يختم به الخطابات التي يرسلها إلى رؤساء العالم وملوكه ، فكان شعاراً للدولة الإسلامية ، أو خاتماً تختم به الخطابات الرسمية ليعبر عن صفة مرسله ومكانته .

ومما لا يخفى أن هذا النقش كان خاصاً به ﷺ ، لا يجوز لأحد تقليده فيه . . . لأنه لا رسول بعده ، ولا يصح لأحد أن يتحلل شخصيته .

وكان خاتم رسول الله ﷺ من فضة ففضه منه .
وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ صنع خاتماً من ورق فنقش فيه (محمد رسول الله) ثم قال : « لا تنقشوا عليه » . . قال الترمذى : وما معنى قوله : « لا تنقشوا عليه » نهي أن ينقش أحد على خاتمه محمد رسول الله .

في صيام الاثنين والخميس

كان ﷺ ، يصوم يوم الاثنين من كل أسبوع ، ولما سئل عن صيامه قال : يوم ولدت فيه : وأرسل إلى فيه وهو يوم ترفع فيه الأعمال إلى الله عز وجل ، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم .

وبهذا نرى أن رسول الله ﷺ : فضلاً عن قيامه بواجب شكر الله عز وجل على ما تفضل عليه به من نعمة إخراجهِ للوجود وإرساله إلى الناس ، في هذا اليوم العظيم ، يأمر أصحابه بصيامه شكراً لله على تلك النعمة ، التي أسبغها الله عليهم وليس أدل على احتفالهم بمولد النبي ﷺ من صيامهم لذلك اليوم .

ولاشك أن صيام الرسول ﷺ لهذا اليوم العظيم يوم الاثنين وسن صيامه للمسلمين من بعده يعتبر إحياءً لذكر مولده ﷺ بعمل يثاب عليه فاعله .

وقد كانت الموالد كلها فيما مضى من نشأتها طاعة لله عز وجل القصد منها إعطاء الطعام وذكر الله عز وجل ، وتعريف المسلمين بفضائل نبيهم ﷺ ، وحثهم على متابعتها .

أما ما يحدث في الموالد اليوم ، من هو صارف عن طاعة الله وطاعة رسوله ، ومقارفة للمعاصي إلا قليلاً من المحافظين على حرمت دينهم ، فلم يكن له وجود فيما مضى ، والموالد بحاجة إلى رعاية وتقويم وفرض عقوبات على كل مستهتر بدينه لا يراعى الله ولا لرسوله حرمة .

في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

أما عن الاحتفال بالمولد النبوي فهو سنة حسنة من السنن التي أشار إليها الرسول ﷺ بقوله : « مَنْ سَنَّ سَنَةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا ، وَمَنْ سَنَّ سَنَةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ زُورُهَا وَزُورُ مَنْ عَمَلَ بِهَا » .

وذلك لأن له أصولا ترشد إليه وأدلة صحيحة تسوق إليه ، استنبط العلماء منها وجه مشروعته . ومن هذه الأدلة ما يأتي :

١ - سئل ﷺ عن صوم الاثنين فقال :

« فيه ولدت ، وفيه أنزل عليّ » . رواه مسلم .

فجعل ولادته في يوم الاثنين سبباً في صومه .

٢ - سئل ابن حجر عن هذا المولد فكان مما قال وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت وهو ما يثبت في الصحيحين من أن النبي ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون عاشوراء فسأهم فقالوا : هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى ، فنحن نصومه شكراً لله تعالى . . فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما من به في يومٍ من إسداء نعمة أو دفع نقمة ، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة .

والشكر لله يحصل على أنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة - وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم .

أما التاريخ الذي ابتداء به هذا الاحتفال فقد قال السيوطي :

إن أول من أحدث فعل ذلك صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبرى بن زيد الدين على ابن بكتكين ، أحد الملوك الأجداد والكبراء والأجداد ، وكان له آثار حسنة ، وهو الذي عمر الجامع المظفرى بسفح قيسون وكان ذلك في القرن السابع .

ولا يعني ترك السلف لهذا العمل الصالح مخالفته للشرع لأن السلف الصالح كان عندهم من اليقظة الدينية وحب النبي الكريم ما يغنيهم عن التذكير بيوم مولده للاحتفال . ومما ينبغي التنبيه إليه أن الاحتفال بمولد الرسول ﷺ ينبغي أن يكون باستعراض سنته ، والتذكير بدعوته ، والاسترشاد بهديه ، وأن يكون بالإكثار من العبادة والذكر والصدقة في سبيل الله ، وهذا ومما ينافي الاحتفال بهذه الذكرى اختلاط النساء بالرجال ، وانتشار المفاصد والموبقات ، والإقبال على المحرمات وما إلى ذلك مما هو معروف .

لماذا لم يكن الصحابة والتابعون يحتفلون بمولد نبينا

محمد ﷺ ونحن نحفل بمولده ﷺ ؟

كان ﷺ يصوم يوم الاثنين من كل أسبوع . . ولما سئل عن صيامه قال : يوم وُلدت فيه . وأرسل إليّ فيه . . وهو يوم ترفع فيه الأعمال إلى الله عز وجل . وأحب أن يرفع عمل وأنا صائم .

وبهذا نرى أن رسول الله ﷺ فضلاً عن قيامه بواجب الشكر لله عز وجل على ما تفضل عليه به من نعمة إخراجهِ للوجود ، وإرساله إلى الناس في هذا اليوم العظيم يسن لأصحابه صيامه شكراً لله على تلك النعمة التي أسبغها الله عليهم ، وليس أدل على احتفالهم بمولد النبي ﷺ من صيامهم لذلك اليوم .

ولاشك أن صيام الرسول ﷺ لهذا اليوم العظيم يوم الاثنين ومن صيامه للمسلمين من بعده يعتبر إحياء لذكر مولده ﷺ بعمل يثاب عليه فاعله . وقد كانت الموالد كلها فيما مضى من نشأتها طاعة لله عز وجل القصد منها إطعام الطعام وذكر الله عز وجل .

وتعريف المسلمين بفضائل نبيهم ﷺ وحثهم على متابعتهم ، أما ما يحدث في الموالد اليوم من هو صرف عن طاعة الله وطاعة رسوله ومقارفة للمعاصي إلا قليلا من المحافظين على حرمت دينهم ، فلم يكن له وجود فيما مضى . والمولد بحاجة إلى رعاية وتقويم وفرض عقوبات على كل مستهتر بدينه لا يرعى الله ولا لرسوله حرمة . .

في كيفية الصلاة على النبي

كان الرسول ﷺ متواضعا لا يرى إلا جانب العبودية لله سبحانه وتعالى وينأى عن كل ما يمكن أن يظهر فيه بعد ذلك .

فلما سأله الصحابة كيف نصلّي عليك قال : قولوا : اللهم صلّ على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد .

فلم يذكر اسمه ﷺ بأوصاف السيادة في هذا المجال ولكن الرسول ﷺ في معرض الحديث عما أنعم الله به عليه يقول : فيما رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة قال : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مُشَفَّع .

وفي رواية أخرى : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر . . وسيد لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ - آدم فمن سواه - إلا تحت لوائى وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر » .

فنحن أمام موقفين موقف الوقوف عند حد تعليم الرسول ﷺ للصحابة ، فلا نذكره ﷺ بوصف من أوصاف السيادة . وموقف الوقوف مع ما يستحسنه ﷺ من أوصاف السيادة مما تحدث ﷺ عنها في مواطن أخر . ويحمل تركه هذا الوصف في جواب الصحابة على أنه تواضع منه ﷺ حيث ترك ذلك التبجيل والاحترام بذكره بألفاظ السيادة لمن أراد وهو ما نراه .

والأمر مع ذلك متروك لرغبة المسلم ولكل وجهة وكلتا الوجهتين سليمة لا غبار عليها بقى أن نقول : إن بعض الناس غالى في ترك ذكره ﷺ بألفاظ السيادة فحرم ذلك ، ولما لم يجد له مستنداً من الشرع اخترع من الأحاديث ما يوافق سيوله ألا هو حديث : لا تسيدونى في الصلاة . إنه ليس حديثاً - إنه كما يقول السخاوى وغيره من علماء الحديث . . لا أصل له .

وعلى ذلك فلا مانع يمنع من ذكر الرسول ﷺ بألفاظ السيادة في التشهد وغيره امثالاً لقوله تعالى : (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً) .

ومما له مغزاه في هذا المواطن أن الرسول ﷺ قال لبعض الصحابة وقد حضر سعد رضى الله عنه .

قوموا لسيدكم .

ويقول سيدنا عمر رضى الله عنه فيما رواه البخارى :

أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعنى بلالا .

وإذا كان بلال سيدنا وأبو بكر سيدنا فمن باب أولى الرسول ﷺ ، عليك يا سيدى يا رسول

الله .

في دلائل الخيرات

إن دلائل الخيرات إنما هي صلوات على رسول الله ﷺ . ولا تمنع طريقة من الطرق الصلوات على رسول الله وذلك لأن الله أمرنا بالصلاة عليه فقال سبحانه : (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) ، ورجال الطريقة التيجانية

ومشايحها يقرءون دلائل الخيرات ، وكان الشيخ عمر غمبو خليفة التيجانية بالسودان يقرأ دلائل الخيرات هو وتلاميذه وتابع أبنائه قراءتها من بعده ، بل إنه توجد نسخة من دلائل الخيرات بخط العارف بالله الشيخ أحمد التيجاني الكبير ، شيخ الطريقة ، ويقول فضيلة الشيخ الحافظ التيجاني خليفة الطريقة بمصر : إن الأوراد اللازمة في الطريقة يصح أداؤها بأية صيغة للصلاة على النبي ، وأنه يجوز لقارئ ورد التيجاني أن يقرأ دلائل الخيرات بل إن في الطريقة التيجانية أحراباً من الطريقة الشاذلية وضرب النووي ولا حرج على السالك أو المرید مادام يلتزم طريقة واحدة لأن من انقطع لشيء أحسنه .

في الرسول ﷺ ، وستة الشريفة .

يقول الله تعالى لرسوله الكريم ، ﷺ : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) ، وما كانت هذه الرسالة العامة لأحد من الرسل من قبله ، فوسى عليه السلام أرسل لبني إسرائيل خاصة ، لقد اقتضت دعوته على بني إسرائيل ، لدرجة أنه حينما ذهب هو وهارون ، عليهما السلام ، إلى فرعون ، قال له : (إنا رسولا ربك ، فأرسل معنا بني إسرائيل) .

فوسى ذهب إلى فرعون ليرسل معه بني إسرائيل ، ولم يكافح سيدنا موسى الشعوب أو الأمم في سبيل دعوته ، وعيسى عليه السلام : إنما أرسل إلى . . « خراف بني إسرائيل الضالة » على حد تعبيرهم القديم ، ولم يحاول سيدنا عيسى أن يبشردعوته خارج فلسطين ، ولم يحاول أن يجاهد من أجلها .

أما رسول الله ﷺ : فإنه أرسل إلى الناس جميعاً : إنه أرسل إلى الناس جميعاً من حيث المكان ، وأرسل إليهم جميعاً من حيث الزمان ، فهو الرسول الدائم زماناً ومكاناً . (قل يا أيها الناس إني رسول الله عليكم جميعاً) .

وقد تكفل الله تعالى بحفظ الكتاب الذي أنزله على رسوله ﷺ ، ضماناً لهذا العموم في الزمان وفي المكان ، وتحقيقاً له (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

ومن أجل هذا الوعد يحفظ الوحي كاملاً غير منقوص ، صحيحاً غير مزيف ، إن الحكمة الإلهية في الإنسانية لا تحتاج إلى رسول بعد الرسول ، ولا إلى نبي بعد النبي ، إنه صلوات الله وسلامه عليه ، خاتم الرسل ، وخاتم الأنبياء .

ولقد امتزج رسول الله ﷺ برسالته الخالدة ، فكان هو هي شرحاً وتفصيلاً .
وكانت هي هو بياناً لمعدنه وجوهره ، وخلافة له ونيابة عنه .

تقول السيدة عائشة ، رضى الله عنها : لقد كان خُلِقَ القرآن ، وهذه الكلمة من السيدة عائشة : رضوان الله عليها : تحتاج إلى تحديد وبيان : ذلك أن القرآن يحدد الخلق الكريم في حده الأدنى ، ثم لا يقتصر على ذلك ، وإنما يرسم القمم من مكارم الأخلاق ، ويوجه إلى السنام منها . ويقود إلى المشارف العليا من درجات المقربين .

فهل تريد السيدة عائشة « رضوان الله عليها » حينما تصفه ﷺ بأن خلقه القرآن ، هل تريد الخلق الكريم في حده الأدنى ؟ أو تريده في حده الأوسط ؟ أو تريده في حده الأقصى ؟
إن القرآن يحدد الدرجة التي وصل إليها الرسول ﷺ من الخلق القرآني : فيقول : سبحانه لرسوله ﷺ (وإنك لعلی خلق عظیم)

هذه الآية القرآنية وصل إليها الرسول ﷺ ، إنها ذروتها وسنامها .

أول المسلمين :

ولقد قال صلوات الله وسلامه عليه : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

إنه ﷺ بعث ليتمم المكارم الأخلاقية ، ليتممها بذاته ، بسلوكه ، وليتممها بقوله ، برسالته ، إنه لم يبعث لينشر الأخلاق الكريمة فحسب ، وإنما بعث ليتمم مكارمها .
ومكارم الأخلاق : لم تكن - قبل الرسول صلوات الله وسلامه عليه - قد تمت ، إن أول المسلمين لم يكن قد وجد بعد ، وكانت بذلك مكارم الأخلاق ناقصة ، كان ينقصها أكمل صفة لمكارم الأخلاق ، وهي إسلام الوجه لله إسلاماً تاماً : إن الكائنات لم تكن قد وصلت - لافي نبي مرسل ، ولا في ملك مقرب - إلى الذروة من إسلام الوجه لله .

والذروة من إسلام الوجه لله ، أو أول المسلمين ، والتعبيران سواء - إنما هو الذروة من مكارم الأخلاق ، إن الكائن الرباني : إنه أول المسلمين ، أولهم بإطلاق أولهم بالنسبة للملائكة . وأولهم بالنسبة لبني آدم ، أولهم قديماً وأولهم إلى الأبد . إن أول المسلمين لم يكن قد وجد بعد . وكانت الإنسانية بذلك ناقصة ، وكانت الكائنات كلها بذلك ناقصة .

كان الكون ناقصاً مادة ومعنى ، كان ناقصه أن تعطر أرضه بأزكى الأجساد وأن يتعطر جوهه بأزكى الأرواح ، وكان لا بد من وجود كائن بهذه المثابة يكمل الله به الدين ويتم به النعمة ، ويرضى رسالته ديناً عاماً خالداً للإنسانية جمعاء : هو إسلام الوجه لله .

ويتزل القرآن محمداً إسلام الوجه لله وسائل ، ومحمداً إسلام الوجه لله غايات ، ومحمداً إسلام الوجه لله طرقاً وأساليب ، ومحمداً له بواعث وأهدافاً ، ومن هنا كان من ينبغى غير الإسلام ديناً لا يقبل منه ، يقول الله تعالى : (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) ، وكيف يقبل منه ما يتنافى مع إسلام الوجه لله .

إن إسلام الوجه لله هو الذروة من مكارم الأخلاق ، وهو جوهر التدين ، إنه الدين القيم ، إنه الدين الخالد ، والنص الوحيد ، النص الإلهي الفريد في العالم كله الذي يبين كيفية إسلام الوجه لله ، إنما هو القرآن . وإذا ما وصل الإنسان إلى إسلام الوجه لله كان بذلك في ذروة الإنسانية ، وفي الذروة من مكارم الأخلاق .

ويتفاوت الناس في إسلام وجوههم لله ، ولا بد من أن يكون أحدهم أول المسلمين . فكان رسول الله ﷺ ، أولهم بإطلاق مطلق :

(قل إن صلاتي ونسكي ، ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) . ولم يصف القرآن بأول المسلمين شخصاً آخر غير الرسول ﷺ .

ومكارم الأخلاق لا يحدها - من حيث التبشير بها - مكان ، ولا يحدها زمان ، بل لا يحدها عالم من عوالم الله في الأرض أو السماء . . . من أجل ذلك كانت رسالته صلوات الله عليه وسلامه رحمة للعالمين .

يقول تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

من مكانة الرسول ﷺ

ورسول الله ﷺ - لأنه يمثل الأخلاق القرآنية في ذروتها - جعل الله سبحانه وتعالى له مكانة خاصة بين المسلمين ، فهو صلوات الله وسلامه عليه - لأنه تمثل القرآن وحققه ، وأصبح قرآناً ، أصبح بذلك يمثل الحق بقوله ، ويمثل الحق فلا ينطق عن الهوى ولا يعمل بالهوى .

يقول تعالى لرسوله ﷺ : (قل إني هادي ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً) ، بل إن طريق الدعوة نفسه ، كان صلوات الله وسلامه عليه ، يسير فيه معصوماً ، وكل من يسير في الدعوة على نسقه إنما يسير معصوماً بعصمة الرسول ﷺ التي منحها الله تعالى إياه ، قل : « هذه سبيلي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي » .

ودعوته إذن وطريق دعوته يسير فيها على هدى ، وعلى نور من ربه ، ولذلك فإن (من يطمع الرسول فقد أطاع الله) .

ويعمم الله سبحانه ، الحكم تعميمياً ، ويطلقه إطلاقاً فيقول سبحانه : (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) . ويقول تعالى : (إن تطيعوه تهتدوا) .

واتباع الرسول ﷺ علامة على محبة الله تعالى لمن يتبعه وسبب في حبه تعالى له .
قل : (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) . إن حب العبد لله لا يفيد ما لم يتخذ العبد الوسيلة الناجعة لذلك ، وهذه الوسيلة هي اتباع رسول الله ﷺ .

ولقد قال الله سبحانه وتعالى في حديث قدسي رواه الإمام البخاري : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب . وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيته ولن استعاذني لأعيذنه .

وهذه النوافل التي ذكرت في الحديث الشريف ، والتي إذا أكثر الإنسان منها بعد أداء الفرائض ، أحبه الله : إنما هي سلوك رسول الله ﷺ ، إنما طريق رسمه ، صلوات الله عليه وسلامه بقوله : وبعمله ، إنما سننه صلوات الله وسلامه عليه التي سنّها ، لينال الإنسان بها محبة الله سبحانه .

من مكانة رسول الله ﷺ عند ربه أيضا

وأحب الله سبحانه رسوله ﷺ ، وكان هذا الرسول بعبوديته لله سبحانه حبيب الله ، وبلغ الرسول ، صلوات الله عليه وسلامه ، بعبوديته التامة درجة أول المسلمين ، كما سبق أن ذكرنا . ولما كان أول المسلمين ، وكان حبيب الله ، ونبيه ورسوله : ميزه الله سبحانه وتعالى على بقية البشر بكونه خيرهم وهذا التمييز لا يخرج صلوات الله عليه وسلامه عن البشرية ، فهو خير البشر ، ومنتهى القول فيه أنه بشر ، وأنه خير خلق الله كلهم ، ولأنه خير البشر يقول الله تعالى مخاطباً المؤمنين : (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) .

إن الإنسان الذي خصه الله بالوحي ، واجتباؤه لرسالته واصطفاه ليكون - باسمه سبحانه - بشيراً ونذيراً ، إن هذا الإنسان الذي فضله الله على العالمين : يجب أن نعرف له مكانته وننزله في الشرف الذي أنزله الله فيه ، إن هذا السراج المنير إن هذا الرؤوف الرحيم ، ينبئ ألا يدعى كما

يدعى زيد وعمرو ، بمعنى لا تنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ، ولا بكنيته فتقولوا : يا أبا القاسم ، بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم والتوقير بأن تقولوا يا رسول الله ، يا نبي الله ، يا إمام المرسلين ، يا رسول رب العالمين يا خاتم النبيين وغير ذلك .

ونستفيد من هذه الآية - كما يقول الشيخ الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين إنه لا يجوز نداء النبي بغير ما يفيد التعظيم ، لا في حياته ، ولا بعد وفاته ، فهذا يعلم أن من استخف بجنابه ﷺ ، فهو كافر ملعون في الدنيا والآخرة .

ويقول الله سبحانه في أوائل سورة الحجرات : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) ، أى لا تتقدموا بأمر من الأمور قولاً كان أو فعلاً ، إلا إذا أذن الله ورسوله ، وكل أمر - قولاً كان أو فعلاً - أتاه الإنسان بدون إذن الله ورسوله فإنه لا يقع على السنن المستقيمة ، يقول الضحّاك عن ذلك : هو عامّ في القتال وشرائع الدين ، أى لا تقطعوا أمراً دون الله ورسوله ، واتقوا الله إن الله سميع عليم .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ، وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ) ، واحذروا إن فعلتم ذلك : (أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ، إن الذين يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) .

أما هؤلاء الذين أساءوا الأدب دون أن يقصدوا فأخذوا ينادونك من وراء الحجرات مناداة الأعراب الأجلاف ، فإن عقوبهم - في الأغلب الأعم - ناقصة (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم) . على أن مجرد الرغبة في الحديث إلى رسول الله ﷺ يحتاج تنفيذها إلى تقديم صدقة . يقول الله تعالى في سورة المجادلة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَأَطْهَرُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وتدل الآية الكريمة على أن ترك تقديم الصدقة إثم ، لأن من لم يجد الصدقة فإن موقف الله سبحانه منه - لعدم قدرته - المغفرة والرحمة ، ولا تكون المغفرة والرحمة إلا على إثم ما أتاه الإنسان .

وعدم توفر الاستطاعة سبب مغفرة الله سبحانه .

وإذا حملكم خوف الفقر على ألا تفعلوا ، وإذا قادكم الضعف الإنساني إلى ألا تنفذوا ذلك ، ثم ندستم واستغفرتم ، فتداركوه حتى يتوب الله عليكم ، وأثبتوا حسن نيتكم وصفاء

سريرتكم ، بأن تقيموا الصلاة على الوجه الأكمل . وتؤتوا الزكاة طيبة بها نفوسكم ، وتطيعوا الله ورسوله في الصغير والكبير ، وما من ريب في أن الله سبحانه خبير بكل ما تعملون .
يقول الله تعالى : (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات ، فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأطيعوا الله ورسوله ، والله خبير بما تعملون) .
وبعد فيقول رسول الله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » .
ويقول الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً) . هذا جانب من مكانة الرسول ﷺ التي أحبها الله له ، والتي نبه عليها سبحانه في كتابه العزيز .

في طاعة رسول الله من طاعة الله

وجانب آخر أحبه الله تعالى لرسوله نريد أن نبينه وهو أن الله سبحانه وتعالى قد فرض طاعة رسوله ﷺ ، مقرونة بطاعته ، بل لقد ذكرها الله سبحانه وتعالى وحدها باعتبارها فرضاً .
ويقول الله تعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله ، فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) .
ويقول تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) . ويقول سبحانه : (قل أطيعوا الله والرّسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين) .

وفي هذه الآية الكريمة : إشارة إلى أن الإعراض عن طاعة الله أو عن الرسول كفر ، وما من شك في أنه كفر ، ذلك أن الإيمان من أركانه الإيمان برسول الله ﷺ ، وبأن كل ما أتى به صدق ، فالتولي عنه استخفافاً أو جحوداً وإنكاراً أو عناداً وممارسة ذلك كله كفر ، يخرج به المعرض عن دائرة الإسلام .

يقول الله تعالى في طاعة الرسول صلوات الله وسلامه عليه حينما يفرد بالحديث :
(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) .

ويقول تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) .

ويجعل سبحانه وتعالى طاعة الرسول ﷺ من طاعته فيقول سبحانه : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) .

ويجعل بيعته صلوات الله وسلامه عليه بيعة لله ، فيقول سبحانه : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يدُ الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتاه أجراً عظيماً) .

وطاعة رسول الله ﷺ إنما هي فيما افترضه الله سبحانه وأوسنه ، وفيما افترضه رسوله صلوات الله وسلامه عليه أوسنه .

وقد تابع الرسول ، ﷺ ، القرآن الكريم في بيانه لمتزلة السنة ، ووجوب اتباعه ﷺ فيما سنه ، فلقد حث رسول الله ﷺ على تبليغ السنة ونشرها فقال فيما رواه أبو داود والترمذي عن زيد بن ثابت : « نصر الله وجه امرئ سمع مقالتي فحفظها ووعاها ، فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع » .

وروى في معناه من طريق آخر : « رحم الله امرأ سمع مقالتي فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع » .

فكان رسول الله ﷺ يأمر الصحابة أن يبلغوا الشاهد منهم الغائب فيقول فيما رواه أبو بكر : « ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب »

ولقد روى الحاكم والبيهقي أن رسول الله ﷺ قال : تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنتي .

ويقول رسول الله ﷺ في خطبة الوداع : « إن الشيطان قد يشس أن يعبد بأرضكم ، ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروا ، إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبداً : كتاب الله ، وسنتي » .

وبين رسول الله ﷺ فيما رواه البخارى عن أبي هريرة أن المسلمين سيدخلون الجنة إلا من لا يرغب منهم في ذلك .

يقول ﷺ : كل أمتي يدخل الجنة إلا من أوى . قالوا : يا رسول الله ومن أوى ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أوى .

في مكانة السنة من القرآن

وسنة رسول الله ﷺ : لها مكانتها بالنسبة إلى القرآن ولها مكانتها بالنسبة إلى التشريع ، إنها المصدر الثاني بعد القرآن - للإسلام - إنها المصدر الثاني للإسلام باعتباره عقيدة ، والمصدر الثاني للإسلام باعتباره تشريعاً ، والمصدر الثاني للإسلام باعتباره أخلاقاً .

أما منزلتها بالنسبة إلى القرآن فإنها حسبما يقول الإمام الشافعي : « وستن رسول الله ﷺ مع كتاب الله وجهان :

أحدهما : نصُّ كتاب ، فاتبعه رسول الله كما أنزل الله .

والآخر : جملة بين رسول الله فيها عن الله معنى ما أراده بالجملة ، وأوضح كيف فرضها عاماً ، وأخصاً وكيف أراد أن يأتي به العباد وكلاهما اتبع فيه كتاب الله .

وفي كلمة أخرى يبين الإمام الشافعي الوجهين فيقول : « أحدهما ما أنزل الله فيه نص كتاب ، فبين رسول الله مثل ما نص الكتاب . والآخر مما أنزل الله فيه جملة كتاب ، فبين رسول الله معنى ما أراد . » وهذان الوجهان لم يختلف فيهما أحد من الفقهاء ولا من المحدثين ، يقول الإمام الشافعي : « هذان الوجهان اللذان لم يُختلف فيهما » .

والوجه الأول : بين بنفسه أنه من الواضح أن رسول الله ﷺ كان بين القرآن عقيدة وشريعة وأخلاقاً على وجه شتى وعلى أنحاء مختلفة ، وعلى أساليب تختلف في الإيجاز والإسهاب بحسب حالة المخاطب . يقول الله تعالى : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) .

والرسول ﷺ كان يبين للناس ما نزل إليهم ، بسلوكه وبقوله وبإقراره بقول صلوات الله عليه وسلامه : « ما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به ، ولا تركت شيئاً مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه » .

ولكن بيان رسول الله ﷺ ، كان يشتمل أيضاً على بيان ما أجمل في كتاب الله وهذا الوجه كثير في السنة .

يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه : قال تبارك وتعالى : (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) .

وقال : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) .

وقال : (وآتوا الحج ، والعمرة لله) .

ثم يبين على لسان رسوله عدد ما فرض من الصلوات ، ومواقيتها ، وسننها ، وعدد ركعاتها ، والزكاة ومواقيتها ، وكيفية عمل الحج والعمرة ، وحيث يزول هذا ويثبت وتختلف سننه وتتفق ، ولهذا أشباه كثيرة في القرآن والسنة . ا . هـ .

وقد كان رسول الله ﷺ ، يبين كيفية الصلاة بقوله وعمله ، كأن يبين أوقاتها ، وأركانها وعدد ركعاتها ، وافتتاحها ، وترتيب حركاتها بعد الافتتاح . ويقول ﷺ : « صلُّوا كما رأيتموني أصلي » .

ويبين رسول الله ﷺ ، مناسك الحج : أركانه ، وواجباته ، وسننه ويقول : خذوا عني مناسككم .

وفرض الله سبحانه وتعالى الزكاة ، ولم يبين مقاديرها ، ولم يذكر بالتفصيل الزروع والثمار والأموال التي تجب فيها الزكاة ؛ فبين رسول الله ﷺ ذلك كله وطبقه . ولقد بينت السنة أن القاتل لا يرث ، وأن الوصية لا تكون في أكثر من الثلث ، وأن الذئب يقدم على الوصية هذا وكثير غيره مما بيته السنة .

عن عمران بن حصين : رضى الله عنه ، أنه قال لرجل يريد أن يقتصر على القرآن دون السنة : إنك امرؤ أحمق ، أتجدد في كتاب الله الظهر أربعاً لا يجهر فيها بالقراءة ؟ ثم عدد عليه الصلاة والسلام الزكاة ونحو هذا ، ثم قال : أتجدد ذلك في كتاب الله مفسراً ؟ إن كتاب الله أجهل هذا ، قال : والسنة تفسر ذلك .

ولقد قيل لمطرف بن عبد الله بن الشخير : لا تحدثونا إلا بالقرآن ، فقال : والله ما نبغى بالقرآن بدلا ، ولكن نريد من هو أعلم منا بالقرآن .

ويقول الإمام الشافعي رضى الله عنه ، ومن قيل عن رسول الله ، فعن الله قبل : لما افترض الله من طاعته .

في مكانة السنة من التشريع

ورسول الله ﷺ : يشرع عن الله تعالى : فيما لانص فيه من كتاب الله .

إن رسول الله ﷺ ، بعث معاذ بن جبل رضى الله عنه . إلى اليمن فقال له :

« كيف تقضى إذا عرض لك قضاء »

قال : أقضى بكتاب الله .

قال : فإن لم يكن في كتاب الله .

قال : فبسنة رسول الله .

قال : فإن لم يكن في سنة رسول الله .

قال : أجتهد برأى ولا آلو .

فضرب رسول الله ﷺ على صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله .

وسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه في رسالته في القضاء إلى أبي موسى الأشعري ، رضى الله عنه التي بدأها بقوله « سلام عليك » أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة . يقول سيدنا عمر في هذه الرسالة ، الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة .

فجعل سيدنا عمر السنة مصدراً من مصادر التشريع .

ولقد سئل سيدنا أبو بكر رضى الله عنه عن ميراث الجدة فقال : مالك في كتاب الله من شيء ولكن أسأل الناس ، فسأهم ، فقام المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة فشهدا : أن النبي ﷺ أعطاها السدس .

ولم يكن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعلم سنة الاستئذان حتى أخبره بها أبو موسى رضى الله عنه . (١٤٧) .

ولم يكن يعلم أن المرأة ترث من دية زوجها حتى كتب إليه الضحاك بن سفيان ، أمير رسول الله ﷺ على بعض البوادي ، يخبره أن رسول الله ﷺ ورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها . ولم يعلم حكم المحوس في الجزية حتى أخبره عبد الرحمن بن عوف : أن رسول الله ﷺ قال : « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » .

ولما قدم « سرغ » وبلغه أن الطاعون بالشام استشار المهاجرين الأولين الذين معه ثم الأنصار ، ثم مسلمة الفتح فأشار كل عليه بما رأى ، ولم يخبره أحد بسنة ، حتى قدم عبد الرحمن بن عوف ، فأخبره بسنة رسول الله ﷺ في الطاعون وأنه قال : إذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه .

وهذا عثمان رضى الله عنه لم يكن عنده علم بأن المتوفى عنها زوجها تعتد في بيت زوجها حتى

حدثته الفريرة بنت مالك أخت أبي سعيد الخدري بقضيتها لما توفي زوجها ، وأن النبي ﷺ قال لها :

« امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله ، فأخذ به عثمان . »

ولقد روى الحاكم ما يلي :

« حرم رسول الله ﷺ أشياء يوم خبير منها الحمار الأهلي وغيره . فقال رسول الله ﷺ « يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته فيحدث بحدِيثِي فيقول : بيني وبينكم كتاب الله » فما وجدنا فيه حلالا استحلتناه ، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه ، وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله . »

ويقول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو داود عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا أدري ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه .

روى أن أبو داود والترمذى وابن ماجه عن المقدم ابن معد يكرب قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله . »

وعن حسان بن عطية أنه قال : كان جبريل عليه السلام ، ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن ، ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن .

وعن مكحول قال : قال رسول الله ﷺ : « أتاكم الله القرآن ومن الحكمة مثليه » أخرجها أبو داود في مراسليه .

وقيل لمطرف بن عبد الله : لا تحدثونا إلا بالقرآن - فقال ، والله ما نبغى بالقرآن ولكن نريد من هو أعلم منا بالقرآن .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « لعن الله الواشيات والمستوشيات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله » فبلغ ذلك امرأة من بني أسد فقالت يا أبا عبد الرحمن بلغني أنك لعنت كيت وكيت فقال : « وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ ، وهو في كتاب الله ، فقالت المرأة لقد قرأت ما بين لوحى المصحف فما وجدته ، فقال لئن كنت قرأته فقد وجدته أما قرأت (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قالت : بلى : قال : فإنه قد نهى عنه رسول الله ﷺ . »

وبعد أن يذكر الإمام الشافعي الوجوه الثلاثة :

١ - بيان السنة للكتاب على ما في الكتاب .

٢ - بيان السنة لمجمل الكتاب .

٣ - ما بين رسول الله فيما ليس فيه نص كتاب .

يقول : وذلك ما نريد أن ننتهي إليه ، وهو بين في وضوح من كل ما ذكرنا - وأى هذا كان ، فقد بين الله أنه فرض فيه طاعة رسوله ، ولم يجعل لأحد من خلقه عذراً بخلاف أمر عرفه من أمر رسول الله ، وإن جعل الله بالناس كلهم الحاجة إليه في دينهم ، وأقام عليهم حجته بما دهم عليه من سنن رسول الله معاني ما أراد الله بفرائضه في كتابه ليعلم من عرف منها ما وصفنا : إن سنته ﷺ ، إذ كانت سنة مبينة عن الله معنى ما أراد من مفروضه فيما فيه كتاب يتلونه ، وفيما ليس فيه نص كتاب آخر .

فهى كذلك أين كانت لا يختلف حكم الله ثم حكم رسوله ، بل هو لازم بكل حال .

في تدوين السنة

بدأ رسول الله ﷺ في العهد المكي يبشر بالقرآن الكريم ورسالة التوحيد سرّاً ثم جهراً ، وكان الرسول ﷺ يلقى بالأضواء كلها على القرآن .

١ - ذلك أن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى ، وهو بأسلوبه معجز ، وهو بمعناه يأخذ بالأفئدة وهو بعظاته يملك القلوب ، وهو بمنطقه يسيطر على العقول .

٢ - ثم إن موضوع القرآن في هذه الفترة كان موضوعاً محدداً : لقد كان جملة من القضايا تتصل بالغيب ، الغيب الإلهي . أو بتعبير آخر - توضيح العقيدة .
توحيداً - ورسالة - وبعثاً .

وكان أسلوب القرآن في ذلك واضحاً لا لبس فيه ، بيناً بياناً سافراً .

٣ - وخشى رسول الله ﷺ ، أن يضيف الناس شيئاً من كلامه إلى القرآن ويخلطوه به . وربما أسرفوا في هذه الإضافة : فلا يستبين الناس الفواصل والفروق بين الأسلوب القرآني الإلهي ، والأسلوب النبوي حينما يتلونها في أول العهد بالإسلام ممتزجين لا تمييز بينهما .

إن معالم الأسلوب القرآني واضحة ، وكلام الله سبحانه أيها كان يتميز بصفات تجعله بمعزل

عن غيره .

ولكن لا بد من إيجاد الفرصة الكافية لترسم هذه المعالم في النفوس . أتى لا بد من تقديم القرآن خالصاً صافياً لا يمتزج به غيره .

لا بد من تقديمه كما أنزل في ثوبه الإلهي البحت حتى تصبح المعالم معالم الإعجاز المعجز بينة سافرة .

من أجل ذلك نهى رسول الله ﷺ . عن كتابة حديثه صلوات الله وسلامه عليه .
٤ - على أن هذه الآيات القرآنية ، في العهد المكي . وهي تشرح التوحيد توحيد الله في الصفات إنها وهي تشرح الهيمنة الإلهية على الكون ، على العوالم ، جميع العوالم ، ليست في حاجة إلى بيان أوضح أو إلى تعبير أقوى .

بل إنه لا يتأتى أن يكون هناك بيان أوضح أو تعبير أقوى .

إنها وهي تهدم الشرك ، وتهدم حصونه فتقول مثلاً :

(قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أمّا يشركون ؟ أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبثنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، إله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون . أمّن جعل الأرض قراراً ، وجعل خلالها أنهاراً ، وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً ؟ إله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون . أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الأرض إله مع الله ؟ قليلاً ما تذكرون . أمّن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ، إله مع الله تعالى الله عما يشركون . أمّن يبدو الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض إله مع الله . . قل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) .

إنها حينما تقول ذلك ، لا تحتاج إلى شرح أو تفسير وهي : حينما تتحدث عن البعث تقول : (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى ، فإذا هم قيام ينظرون ، وأشرقَت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون . ووقيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون) .
ليست بحاجة إلى شرح أو تفسير .

وهي : حينما تتحدث عن الرسول ﷺ ونزول القرآن عليه تقول : (نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين) . ليست بحاجة إلى شرح أو تفسير .
ثم هي ، حينما تقول ترغيباً وتبشيراً .

(إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ، هم وأزواجهم في ظلل على الأرائك

متكئون ، لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون . سلام قولاً من رب رحيم) ، فليست بحاجة إلى شرح أو تفسير .

وحينما تقول موعظة وإنذاراً : (ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون . حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم : لم شهدتم علينا ؟ قالوا : أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ، وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون . وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ، فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين) ، فليست بحاجة إلى شرح أو تفسير .

٥ - ثم إن الموضوعات التي تتحدث فيها هذه الآيات المكية : موضوعات غيبية ، والموضوعات الغيبية دقيقة وغاية في الدقة ، فهل إذا تحدث الرسول ﷺ في هذه الموضوعات ، ونقل عنه هؤلاء شفوياً ، وهم حديثو عهد بالإسلام وقريبو عهد بالجاهلية الوثنية . . . هل سيحسنون التعبير ، عنها أو يقولونها كما تحدث بها الرسول ﷺ ، في دقته الدقيقة ، وفهمه الواعي عن الله سبحانه وتعالى ؟

من أجل ذلك ، أمر الرسول ﷺ ألا يكتب عنه غير القرآن ، وحكمة هذا الأمر وتعليله واضح كل الوضوح مما ذكرنا . ولكن في فترة العهد المدني تغير الوضع .

ها هو ذا الإسلام ينتشر انتشاراً واسعاً وسريعاً وها هي ذى الأمة الإسلامية الناشئة المؤمنة القوية : تبعث الأمل واسعاً في أن دين الله سينتشر في الآفاق وسيعم نوره الأفطار وستحطم كلمة الحق صروح الباطل ، وسيتم الله نوره ولو كره المشركون وسيعم للأوّه برغم أنوف الكافرين . ومن أجل هذه الأمة بدأ الوحي ينزل أرسالا أرسالا بالتشريع في جميع ألوانه تشريع دولي وتشريع جنائي وتشريع مدني ، وتشريع للعبادة ، وتشريع للأحوال الشخصية .

لقد بدأ التشريع الإلهي بنظم حياة الفرد : عبادة ومعاملة : حياته مع نفسه ، وحياته مع أمته ، وحياته مع الله تعالى :

لقد أخذ بنظم حياة الإنسان منذ أن يستيقظ في الصباح إلى أن ينتهي به الأمر إلى الصحو من جديد في صباح تال .

وينظم حياته من أسبوع إلى أسبوع ، ومن شهر إلى شهر ، ومن عام إلى عام . وينظم حياته في ذاته ، وينظم حياته في أسرته ، وينظم حياته في مجتمعه . وينظم حياة المجتمع الإسلامي كله في الكون كله . وما كان يتأني أن يتعرض الوحي في ذلك للتفصيلات المفصلة ، ولا للجزئيات الجزئية

التي لا تعد ولا تحصى ، ولكنه كان يفصل تفصيلاً يشبه أن يكون تاماً في الأمور التي تكون عادة مثار النزاع وخصوصاً - المالميات كالميراث ، وكتابة الدين مثلاً .

ويضع قواعد عامة شاملة تتضمن الجزئيات المتعددة ، في موضوعات أخرى وكان لا بد من أن يستفيض الرسول ﷺ في البيان والشرح والتفسير .

وكان المسلمون قد ألفوا الجبو الإسلامى ، وألفوا الأسلوب القرآنى ، عرفوا مفهوم الشرك ومفهوم التوحيد ، وتبينت لهم الفروق الفاصلة بين العلم والجهل ، وبين الإسلام والجاهلية . وبين توجيه الوجه للذى فطر السموات والأرض وتوجيهه للأصنام أو الشهوات أو اللهو ، ولم يكن هناك من خوف على خلط أسلوب القرآن الكريم بغيره .

وكان لا بد من تقييد شروح الرسول ﷺ ، وتفسيراته . لم تكن هناك ظروف توجب عدم كتابة الحديث ، وكانت هناك ظروف توجب كتابته .

ومن أجل ذلك أباح الرسول ﷺ كتابته بعد أن كان قد نهى عنها . وبدأ الصحابة - رضوان الله عليهم يكتبون .

روى الإمام البخارى فى كتاب العلم ، باب كتابة العلم قال : « حدثنا محمد بن سلام قال : أخبرنا وكيع عن سفيان عن مطرف ، عن الشعبي ، عن أبي حنيفة قال : قلت لعلى هل عندكم كتاب .

قال : لا ، إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما فى هذه الصحيفة . قلت : فما فى هذه الصحيفة .

قال : العقل ، وفكاك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر . ويروى الإمام البخارى : حدثنا أبو نعيم : الفضل بن دكين ، قال : حدثنا شيان ، عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، أن خزاعة قتلوا رجلاً من بنى ليث ، عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه فأخبر بذلك النبي ﷺ فركب راحلته ، فخطب فقال :

إن الله حبس عن مكة القتلى ، أو الغيل : شك أبو عبد الله وسلط عليهم رسول الله ﷺ والمؤمنين ، ألا وإنما لم تحل لأحد قبلى ولم تحل لأحد بعدى . ألا وإنما حلت لى ساعة من نهار ، ألا وإنما ساعى هذه حرام ، لا يحتل شوكرها ولا يعضد شجرها ، ولا تلتقط ساقطها إلا لمنشد ، فمن قتل فهو بخير النظرين إما أن يعقل وإما أن يقاد أهل القتل .

فجاء رجل من أهل اليمن ، فقال : اكتب لى يا رسول الله .

فقال : اكتبوا لأبى فلان .

فقال : رجل من قريش : إلا الإذخر ، يا رسول الله ، فإننا نجعله في بيوتنا وقبورنا .
فقال النبي ﷺ : إلا الإذخر إلا الإذخر .
قال : أبو عبيد الله : يقال : يقاد ، بالقاف .
ف قيل : لأبي عبيد الله : أى شىء كتب له .
قال : كتب له هذه الخطبة .
ويقول البخارى :

حدثنا على بن عبد الله . قال حدثنا سفيان ، قال حدثنا عمرو ، قال أخبرني وهب بن منبه ،
عن أخيه قال سمعت أبا هريرة يقول : ما من أصحاب النبي ﷺ ، أحد أكثر حديثاً عنه منى إلا
ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب . تابعه معمر ، عن همام عن أبي هريرة
« انتهى البخارى » . ولقد اشتهرت كتابة عبد الله بن عمرو لكل ما يصدر عن رسول الله ﷺ
حتى لقد نوقش في ذلك من بعض القرشيين . يقول حسبا يروى في سنن الدارمى وغيره : كنت
أكتب كل شىء أسمع من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشر ، يتكلم في الغضب والرضا ،
فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فأوماً بأصبعه إلى فيه ، وقال :
اكتب ، فوالذى نفسى بيده ما خرج منه إلا حق .

وروى عن أبي هريرة - كما يذكر الترمذى - أن رجلاً من الأنصار كان يشهد حديث رسول
الله ﷺ فلا يحفظه فيسأل أبا هريرة فيحدثه ، ثم شكاً قلة حفظه إلى الرسول ﷺ ، فقال له
النبي ﷺ : استعن على حفظك بيمينك . أى بالكتابة .

وروى عن رافع بن خديج ، كما يذكر في كتاب « تقييد العلم » أنه قال : قلنا يا رسول الله
« إنا نسمع منك أشياء ، أفنكتبها ؟ قال : « اكتبوا ولا حرج » .

على أنه قد روى عن رسول الله ﷺ أنه كتب كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن .
لعمر بن حزم وغيره ، كما يروى ذلك صاحب كتاب « جامع بيان العلم وفضله » .

هذا ما كان من بعض الصحابة في عهد الرسول ، ﷺ ، وتكثر الروايات فيما كان من كتابة
الصحابة بعد انتقاله صلوات الله وسلامه عليه إلى الرفيق الأعلى . ففي مسند الإمام أحمد عن
أبي عثمان النهدي قال :

كنا مع عتبة بن فرقد . فكتب إليه عمر بأشياء يحدثه عن النبي ﷺ ، فكان فيما كتب إليه .
إن رسول الله ﷺ قال : لا يلبس الحرير في الدنيا إلا من ليس له في الآخرة منه شىء إلا
هكذا .

وقال بأصبعيه السبابة والوسطى ، قال أبو عثمان : فرأيت أنها أزرار الطيالة . ولقد كان بعض الصحابة ينقل عن بعض ، فعروة بن الزبير رضى الله عنه ، ينقل عن خالته السيدة عائشة رضوان الله عليها فتقول له : يا بنى ، بلغنى أنك تكتب عنى الحديث ثم تعود فتكتبه . فقال لها : أسمعه منك على شىء ، ثم أعود فأسمعه على غيره ، فقالت : هل تسمع فى المعنى خلافاً ؟ .

قال لا : قالت : لا بأس بذلك .

وبشير بن نهيك يكتب عن أبى هريرة ، ويحيزه أبو هريرة بالرواية عنه . يقول بشير : كما يذكر كتاب « السنة قبل التدوين » نقلاً عن كتاب « المحدث الفاضل » وغيره - أتيت أباً هريرة بكتابه الذى كتبه ، فقرأته عليه ، فقلت : هذا سمعته منك ؟ قال نعم . وكان لابن عباس رضى الله عنه ألواح يكتب فيها عن الصحابة ، مثل أبى رافع صاحب رسول الله ﷺ . بل لقد وصل الأمر بأنس رضى الله عنه الذى لازم رسول الله ﷺ ملازمة تكاد تكون تامة طيلة عشر سنوات ، إنه كان يملئ الحديث على جموع من الطالبين ، فإذا أكثر الناس واحتاجوا إلى صحف يكتبون فيها ، جاء إليهم بها من عنده فألقاها إليهم ثم قال : هذه أحاديث سمعتها وكتبها عن رسول الله ﷺ وعرضتها عليه .

وكان يقول : رضى الله عنه ، لبنية : يا بنى قيدوا العلم بالكتاب .

وكان الصحابة يتراسلون فى الأحاديث ، يستفسرون ويتذاكرون ، فعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ، يكتب للمغيرة بن شعبة رضوان الله عليه عدة مرات يستفسر عن بعض ما يرويه المغيرة عن رسول الله ﷺ .

فيجيبه المغيرة بن شعبة مرة عما كان رسول الله ﷺ مثلاً : يقول فى ختام كل صلاة : (اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا رادّ لما قضيت ، ولا ينفع ذا الجدمك الجدم) . ويجيبه مرة أخرى بأن رسول الله ﷺ . نهى عن : قيل وقال وكثرة السؤال ، وإضاعة المال . ويكتب زياد بن أبى سفيان إلى السيدة عائشة رضوان الله عليها ، يسألها عن مسائل تتعلق بالحج ، ويذكر لها فتوى ابن عباس رضى الله عنه ، فتكتب له بما كان ﷺ ، يفعله فى الحج . ويصف المرحوم الأستاذ مصطفى السباعى بعض الجهود التى قام بها الصحابة لجمع الحديث فيقول فى نهاية حديثه عن تلك الجهود .

فلما كان عهد عثمان سمح للصحابة أن يتفرقوا فى الأمصار واحتاج الناس إلى الصحابة . وخاصة صغارهم ، بعد أن أخذ الكبار يتناقصون يوماً بعد يوم ، فاجتهد صغار الصحابة بجمع

الحديث من كبارهم فكانوا يأخذونه عنهم .

كما كان يرحل بعضهم إلى بعض من أجل طلب الحديث ، فقد أخرج البخارى فى الأدب المفرد ، وأحمد ، والطبرانى ، والبيهقى ، واللفظ له ، عن جابر بن عبد الله قال : بلغنى حديث عن رجل من أصحاب النبى ، ﷺ عن رسول الله ﷺ ، لم أسمعها فابتعت بعيراً فشددت عليه رجلى ، ثم سرت إليه شهراً حتى قدمت الشام . فإذا هو عبد الله بن أنيس الأنصارى ، فأتيته ، فقلت له ، حديث بلغنى عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ فى المظالم لم أسمعها فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعها .

فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يحشر الناس غُرلاً بهما . قلنا وما لهم ؟ قال : ليس معهم شيء ، فيناديهم نداء يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، أنا اللذان لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار واحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقتصها منه . ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة واحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى أقتصها منه حتى اللطمة .

قلنا : كيف ؟ وإنما نأتى عراة غُرلاً بهما ؟ قال : بالحسنات والسيئات .

وأخرج البيهقى وابن عبد البر عن عطاء بن أبى رباح أن أبى أيوب الأنصارى رحل إلى عتبة ابن عامر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ ، لم يبق أحد سمعه منه غيره فلما قدم إلى منزل مسلمة بن مخلد الأنصارى - وهو أمير مصر - فخرج إليه فعانقه - ثم قال ما جاء بك يا أبى أيوب ؟ قال حديث سمعته من رسول الله ﷺ فى ستر المؤمن .

فقال : نعم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : من ستر مؤمناً فى الدنيا على كبرته ، ستره الله يوم القيامة .

ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته ، فركبها راجعاً إلى المدينة فما أدركته جائرة مسلمة إلا بعريش مصر .

ولقد قرأ فى أذهان الناس ، بصورة راسخة أن السنة لم تُدَوَّنْ إلا فى القرن الثانى ، ومن أجل اقتلاع هذه الفكرة الخاطئة أطلنا فى نقل بعض النصوص التى تثبت الحقيقة وهى أن السنة دونت فى القرن الأول : فى عهد الرسول ﷺ ، وفى عهد الصحابة الأجلاء .

ومن أجل زيادة الأمر وضوحاً ، ومن أجل تأكيد الحقيقة فى الأذهان ، نقل هنا أيضاً رأى الأستاذ الجليل ، السيد سليمان الندوى ، كبير علماء مسلمى القارة الهندية فى هذا العصر ، نقله عن كتابه النفيس « الرسالة المحمدية » وهو محاضرات ألقاها فى جامعة مدراس

يقول : وإني أكتشف القناع ، لأول مرة في ناديكم هذا ، بأن من زعم بأن الأحاديث النبوية لم تدون إلى مائة سنة أو تسعين سنة قد أخطأ والتاريخ يعارضه .

والسبب في هذا الخطأ ظنهم أن أول كتاب في الحديث النبوي : « كتاب الموطأ » لمالك ابن أنس ، وأول كتاب في السيرة كتاب المغازي لابن إسحاق ، وهذان الإمامان الجليلان كانا معاصرين ، وتوفي الأول ١٧٩ هـ ، والثاني سنة ١٥١ هـ ، فاعتبرا العقود الأولى من القرن الثاني بداية تدوين الأخبار والسير .

والأمر ليس كذلك ، فإن بواكير التدوين ابتدأت قبل ذلك بكثير ، وقد كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز المتوفى سنة ١٠١ عالماً جليلاً ، ولي إمارة المدينة ثم استخلف سنة ٩٩ ، وقد عهد إلى القاضي : أبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم ، الذي كان إماماً في الحديث والخبر أن يبدأ في تدوين سنن النبي ﷺ وأخباره ، لأنه خاف على العلم أن يرفع شيئاً فشيئاً .

وخاف دروس العلم وعفاهه ، وقد ذكر هذا في تعليقات البخاري ، والموطأ لمالك ، والمسند للدارمي ، فقام بذلك أبو بكر بن حزم ، وكتبت الأحاديث والأخبار والسنن في القرايطيس وأرسلت إلى دار الخلافة بدمشق ، ونسخت في الصحف والكتب ، وبعث بها إلى البلاد الإسلامية وكبريات المدن يومئذ (مختصر جامع بيان العلم للمحافظ بن عبد البر من ١٣٨) . فأبو بكر هذا الذي علمت مكانته من العلم والفضل وكان قاضياً بالمدينة المنورة ، هو الذي اختاره عمر بن عبد العزيز لهذا العمل الجليل لعلمه وفضله ولأن خالته عمرة كانت من كبريات تلميذات أم المؤمنين عائشة ، وكان ما روته خالته عمرة عن أم المؤمنين عائشة محفوظاً عنده ، فأوعز إليه عمر بن عبد العزيز بتدوين مرويات خالته ، وقد اختصها بالذكر في كتابه إليه .

ويتابع السيد سليمان الندوي حديثه فيقول :

وأمر ، ﷺ ، فكتبت أحكام الزكاة وما تجب فيه ، ومقادير ذلك ، فكتبت مشروحة مفصلة في صفحتين ، وبعث بصورة ذلك إلى أمراء البلاد وولاتها ، وبقيت محفوظة في بيت أبي بكر الصديق ، وأبي بكر بن عمرو بن حزم . « الدار قطنى في كتاب الزكاة ص ٢٠٩ » ، وكان عند عمال الزكاة رسائل فيها أحكام الزكاة .

وكان لمرويات عبد الله بن عباس كراريس عدة وجاءه قوم من أهل الطائف بكراسة منها ليرويها عنه (العلل للترمذى ص ٦٩١) .

وكان سعيد بن جبير يكتب روايات عبد الله بن عباس (الدارمي ٦٩) وبقيت صحيفة عبد الله بن عمرو (الصادقة) موجودة عند حفيده . عمرو بن شعيب « سنن الترمذى ٢٩٣ ص ٦١ ،

١١٣ » وكانوا يضعفون عمرو بن شعيب ، لأنه يروى من الصحيفة وكان ينبغي له أن يروى من حفظه .

وجمع وهب التابعى روايات جابر بن عبد الله وكانت عند إسماعيل بن عبد الكريم ، وضعفه لأجل ذلك (تهذيب التهذيب لابن حجر ٣١٦) .

ويروى سليمان بن سمرة بن جندب أنه كان عند أبيه صحيفة فيها أحاديث ، وكذلك روى ابنه حبيب بن سليمان - (تهذيب التهذيب) : ١٩٨ .

وجمع همام بن منبه روايات أبي هريرة وهو أكثر الصحابة رواية ، وأوعاهم حفظاً لأحاديث الرسول ﷺ ، فصارت تعرف صحيفته بين المحدثين بصحيفة همام ، وقد أوردها الإمام أحمد ابن حنبل في الجزء الثانى من مسنده (ص ٣١٢ - ٣١٨ الطبعة الأولى) .

وكذلك بشير بن نهيك : كتب مروياته عن أبي هريرة في كتاب وقرأه عليه .

(كتاب العلل للترمذى ص ٦٩١ ، والدارمى ص ٦٨ والسنن الكبرى لليثقى ١٠ : ٢٨٠) . وذكر ابن حجر في كتابه فتح البارى : أن أبا هريرة جاء برجل إلى بيته وأراه أوراقاً وقال : هذه رواياتى ، وقال الذى روى ذلك : إنها لم تكن مكتوبة بيده . (فتح البارى ١ : ١٧٤ - ١٨٥) . وكان أنس بن مالك - وهو معروف بكثرة الروايات يقول لأولاده يا بنى اكبوا العلم وقيدهم بالكتابة (الدارمى ص ٦٨) .

وكان تلميذه « أبان » يكتب رواياته بين يديه (الدارمى ٦٨) .

وروى عن سلمى قالت : رأيت عبد الله بن عباس يستلمى أبا رافع خادم رسول الله ﷺ ما كان ﷺ ، يفعل أويقول (طبقات ابن سعد ١٢٣/٢/٢) .

والواقدى وهو من متقدمى المصنفين فى السيرة النبوية يقول : رأيت عند عبد الله بن عباس الكتاب الذى أرسله رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى سيد عمان مع كتب أخرى (زاد المعاد ٢ : ٥٧) .

وفى تاريخ الطبرى : أن عروة بن الزبير كتب جميع ما كان فى غزوة بدر مفصلاً إلى عبد الملك الخليفة الأموى (الطبرى ١٢٨٥) .

ويقول سعيد بن جبير التابعى : كنت أكتب على الأقتاب ما أسمع فى الليل من عبد الله ابن عمر وعبد الله بن عباس ، فإذا أصبحت كتبتة واضحاً (الدارمى ص ٦٩) .

وكان أصحاب البراء بن عازب يكتبون عنه رواياته (الدارمى ص ٦٩) وكان نافع - وقد صحب ابن عمر ثلاثين سنة - يلى على الناس (الدارمى ص ٦٩) .

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود أنه أخرج كتاباً وقال : وإيم الله ، هذا ما كتبه يد ابن مسعود (جامع العلم لابن عبد البر ص ١٧) .
 ونتابع الحديث في الموضوع على الرغم من أن الأمر أصبح واضحاً فتنضيف إلى ماسبق ، أن مروان قد خطب في الناس فذكر مكة وحرمتها فقال رافع بن خديج بصوت يسمعه الناس :
 والمدينة حرم حرمتها رسول الله ﷺ وهو مكتوب عندنا في أديم خولاني إن شئت أن نقرئك فعلنا .

فناداه مروان : أجل قد بلغنا ذلك ، (مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤ : ١٤١) .
 وأرسل الضحاك بن قيس كتاباً إلى النعمان بن بشير يسأله فيه عن السورة التي كان رسول الله ﷺ يقرأها في صلاة الجمعة غير سورة الجمعة .
 فكتب إليه يقول : كان يقرأ (هل أتاك) (صحيح مسلم) وكتب عمر بن الخطاب إلى عتبة ابن فرقد كتاباً ذكر فيه : أن رسول الله ﷺ ، نهى عن لبس الحرير (صحيح مسلم) .
 « ويقول مجاهد : رأيت عند عبد الله بن عمرو كتاباً فسألته : ما هذا ؟ فقال : هذه الصادقة « فيها ما سمعته من رسول الله ﷺ ليس في ذلك بيني وبينه أحد » .

ولما ولى رسول الله ﷺ ، عمرو بن حزم اليمن وبعثه إليها أعطاه أحكاماً مكتوبة في الفرائض والصدقات والدييات (كتر المال ٣ : ١٨٦) .
 وتلقى عبد الله بن حكيم كتاباً من رسول الله ﷺ ، فيه أحكام الحيوانات الميتة (المعجم الصغير للطبراني ص ٢١٧) .

ولما أراد وائل بن حجر أن يرجع إلى بلاده حضرموت ناوله رسول الله ﷺ كتاباً فيه أحكام الصلاة والصوم والربا والخمر وغير ذلك (الطبراني ٢٤٢) ولما وجه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب السؤال إلى أصحاب رسول الله ﷺ في نصيب المرأة من دية زوجها قام الضحاك بن سفيان :
 فقال :

نعم عندنا كتاب من رسول الله ﷺ ، يبين فيه ذلك (الدار قطنى ٢ : ٤٨٥) (١٤٨)
 وقد بلغ عدد الصحابة رضى الله عنهم في آخر حياة النبي ﷺ - عندما حج حجة الوداع مائة ألف ، ومن هؤلاء عشرة آلاف صحابي مذكرة أسماؤهم وأحوالهم في كتب التاريخ التي أفردت تدوين أحوالهم خاصة . وأن التاريخ لم يهتم بتدوين أحوالهم ، ولم يحفظ لنا شئونهم إلا لأن كل واحد منهم حفظ شيئاً من أقوال النبي ﷺ ، وأفعاله وتصرفاته وهدية وسيرته .

(١٤٨) انظر السنة قبل التدوين ، والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامى ، ورجال الفكر والدعوة .

لقد توفي رسول الله ﷺ ، سنة ١١ من الهجرة النبوية ، وبقى فريق من كبار الصحابة بعده إلى سنة أربعين ، وبقى بعد ذلك من الصحابة ، الذين كانوا أجداداً في حياة النبي ﷺ ، عدد غير قليل ، فلما انقرض ذلك الجيل لم يبق من الصحابة أحد ، وانطفأ كل سراج أوقد بنور النبوة . وإليك أسماء آخر من مات من الصحابة ، والبلاد التي ماتوا فيها وسنوات وفاتهم .

سنة الوفاة	المدن التي توفوا فيها	آخر الصحابة موتاً
٨٦	الشام	١ - أبو أمامة
٨٦	مصر	٢ - عبد الله بن الحارث بن جزء
٨٧	الكوفة	٣ - عبد الله بن أبي أوفى
٩١	المدينة	٤ - السائب بن زيد
٩٣	البصرة	٥ - أنس بن مالك

وأنس بن مالك هذا الذي كان آخر من بقي من الصحابة كان الخادم لرسول الله ﷺ ، واستمر في خدمته عشر سنوات متوالية .

ومعظم هذه الثروة الحديثية كما يقول الأستاذ الجليل أبو الحسن الندوي قد كتب ودون بأقلام رواة في العصر الأول . وقد يزيد ما حفظ في الكتب والدفاتر كتابة وتحريراً في العصر النبوي وفي عصر الصحابة ، رضى الله عنهم ، على عشرة آلاف حديث ، إذا جمعت صحف ومجاميع أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وأنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، وعلى ، وابن عباس ، رضى الله عنهم ، فيمكن أن يقال : إن ما ثبت من الأحاديث الصحاح واحتوت عليه مجاميعها ومسانيدها قد كتب ودون في عصر النبوة وفي عصر الصحابة قبل أن يدون الموطأ والصحاح بكثير .

جمعت السنة إذن - جميعها تقريباً - في عهد الرسول ﷺ وعهد الصحابة . جمعت دون ترتيب ولا تنسيق .

جمعت متفرقة متناثرة ، يكتب هذا الحديث والحديثين ويكتب الآخر المائة والمائتين ويزيد الثالث عن ذلك ، ويملى الرابع من حفظه على الآخرين ، وهكذا ، وفي ذلك لم يكن لأحد اهتمام بالتنسيق أو الترتيب .

يقول الأستاذ العالم الورع المثبت أبو الحسن الندوى فى كتابه « رجال الفكر والدعوة » ما يلى :

وإذا جمعت هذه الصحف والمجاميع ، وما احتوت عليه من الأحاديث كونت العدد الأكبر من الأحاديث التى جمعت فى الجوامع والمسانيد والسنى فى القرن الثالث :

وهكذا يتحقق أن المجموع الكبير الأكبر من الأحاديث سبق تدوينه وتسجيله - من غير نظام وترتيب - فى عهد الرسول ﷺ ، وفى عصر الصحابة رضى الله عنهم .

ويتحدث الأستاذ أبو الحسن الندوى عن الوهم الشائع بين الناس من أن السنة لم تدون إلا فى القرن الثالث : ويعلل هذا الوهم تعليلا منطقيا فيقول :

وقد شاع فى الناس - حتى المثقفين والمؤلفين - أن الحديث لم يكتب ولم يسجل إلا فى القرن الثالث الهجرى ، وأحسنهم حالا من يرى أنه قد كتب فى القرن الثانى وما نشأ ذلك الغلط إلا عن طريقتين .

الأولى : أن عامة المؤرخين يقتصرون على ذكر مدونى الحديث فى القرن الثانى ولا يعنون بذكر هذه الصحف والمجاميع التى كتبت فى القرن الأول ، لأن عامتها فقدت وضاعت مع أنها اندمجت وذابت فى المؤلفات المتأخرة .

الثانية : أن المحدثين يذكرون عدد الأحاديث الضخم الهائل الذى لا يتصور أن يكون قد جاء فى هذه المجاميع الصغيرة التى كتبت فى القرن الأول : مع أن عدد الأحاديث الصحاح غير المتكررة المتجردة من المتابعات والشواهد لا يزال قليلا .

وقد نبه على ذلك العلامة مناظر أحسن الكيلانى ، رئيس القسم الدينى سابقاً فى الجامعة بمجيدر آباد فى كتابه العظيم « تدوين الحديث » يقول رحمه الله : وقد يتعجب الإنسان من ضخامة عدد الأحاديث المروية فيقال : إن أحمد بن حنبل كان يحفظ أكثر من سبعمائة ألف حديث . وكذلك يقال عن أبى زرعة .

ويروى الإمام البخارى أنه كان يحفظ مائتى ألف من الأحاديث الضعيفة ومائة ألف من الأحاديث الصحيحة .

ويروى عن مسلم أنه قال : جمعت كتابى من ثلاثمائة ألف حديث ، ولا يعرف كثير من المتعلمين - فضلا عن العامة أن الذى يكون هذا العدد الضخم هو كثرة المتابعات والشواهد التى عنى بها المحدثون .

فحديث « إنما الأعمال بالنيات » مثلا يروى من سبعمائة طريق . فلو جردنا مجاميع الحديث من هذه المتابعات والشواهد لبقى عدد قليل من الأحاديث .

فالجوامع الصحيح للبخارى لا تزيد الأحاديث التي رويت بالسند الصحيح فيه على ألفين وستائة وحديثين .

وأحاديث مسلم يبلغ عددها أربعة آلاف حديث .

وهكذا لا يبلغ عدد الأحاديث المروية في كتب الصحاح الستة ومسند أحمد وكتب أخرى خمسين ألف حديث منها الصحيح ، ومنها السقيم ، ومنها المتفق عليه ، ومنها المتكلم فيه . وقد صرح الحاكم أبو عبد الله - الذي يعد من المتسامحين المتوسعين - أن الأحاديث التي في الدرجة الأولى لا تبلغ عشرة آلاف (توجيه النظر ص ٩٣) ويقول الأستاذ :

ولم يتتصف القرن الثاني حتى كانت حركة الجمع والتدوين أنشط وأقوى ، وكان ممن سبق إليها من رجال هذا القرن . .

ابن شهاب الزهري وابن جريج المكي وابن إسحاق - معمر اليمنى - سعيد بن أبي عروبة المدنى - ربيع بن صبيح - سفيان الثوري - مالك بن أنس - الليث بن سعد - وابن المبارك - ثم تتابع الناس .

في موافقة السنة للقرآن

أن تكون موافقة لما جاء في القرآن فتكون واردة حينئذ مورد التأكيد ومن أمثلة ذلك .
١ - قوله ﷺ : « لا يحمل مال امرئ مسلم إلا بطيب من نفسه » ، رواه الديلمي فإنه يوافق قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) .

٢ - قوله ﷺ : « اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحلتم فروجهن بكلمة الله » فإنه يوافق قوله تعالى : (وعاشروهن بالمعروف) .

٣ - قوله ﷺ : « إن الله يملئ للظالم فإذا أخذه لم يفلته » يوافق قوله تعالى : (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة) .

أن تكون دالة على حكم سكت عنه القرآن ومن أمثلة هذا النوع . .

١ - قوله ﷺ في البحر « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » .

٢ - قوله ﷺ في الجنين الخارج ميتاً من بطن أمه الذكاة « وذكاة الجنين ذكاة أمة » .

٣ - الأحاديث الواردة في تحريم ربا الفضل .

٤ - الأحاديث الواردة في تحريم كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطيور وتحريم لحوم الخمر .

في أقسام الحديث النبوي

لقد اعتمد أسلافنا منهج الرواية أولاً ، ثم بينوا عن طريق هذا المنهج نفسه : الصحيح ، والحسن ، والضعيف ، والموضوع .

وكتبوا في كل ذلك . ولقد ساهم الإمام السيوطي رضي الله عنه بقسط وافر في هذا المجال وكتابه اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية أشهر من أن يتحدث عنه ، ولم يكتف أسلافنا ببيان الموضوع والضعيف والحسن والصحيح ، وإنما اتخذوا قواعد عامة منها - مثلاً - أن القرآن الكريم وعمل الرسول ﷺ وعمل الصحابة كل ذلك مهيمن كمقياس للصحة والبطلان . وقواعد الدين العامة وأصوله الصحيحة ومبادئه بل فروعه . . . إن كل ذلك واضح لدى المسلمين منذ . . .

(اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) اعتمد أسلافنا منهج الرواية ، والتموه ، ونقدوا المنتقد منه ، وأثبتوا ما ثبت وزينوا ما زان ، وسجلوا كل ذلك ، فحققوا بهذا ما هو جدير بهم من سعة الأفق ، ومن هذه النهضة العلمية الأصيلة أبانوا أنهم أفهم الناس للروح العلمية الأصيلة وآفاق البحث في أدق صوره . فجزاهم الله عن العلم وأهله خيراً .

في رواية الحديث عن المتخصصين

مثل من الإمام مالك بن أنس

* * *

وكان يتحرى التخصص ويروى عنه - فيما يتعلق بتأدية التخصص أنه قال : « لقد أدركت بالمدينة أقواماً لو استسقى بهم القطر لسقوا . أي أنهم من الصلاح بحيث لو دعوا الله أن ينزل المطر لاستجاب لهم) وقد سمعوا من العلم ، والحديث شيئاً كثيراً وما أخذت عن واحد منهم ، وذلك أنهم كانوا قد ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد .

ويقول هذه الكلمة البالغة العمق :

إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه ، لقد أدركت سبعين ممن يقول قال رسول الله ﷺ عند هذه الأساطين - وأشار إلى المسجد - فما أخذت عنهم شيئاً ، وإن أحدهم لو أوتى بيت مال لكان أميناً ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن .

ويريد أن يقول في هؤلاء وأولئك إنهم ليسوا من أهل الحديث . ومن الجائز ، وهم غير متخصصين في هذا الشأن ، أن يقرر بهم أو أن يرووا حديثاً ضعيفاً ، ويريد أيضاً أن يقول : إن الصلاح غير العلم ، وإنه لا يلزم من وجود الزهد أو الأمانة أن يكون الزاهد أو الأمين نقادة مثبته .

ومع هذا التحرى ومع هذا الجهد في الثبوت فإنه ما كان يروى كل ما يسمع ويقول : إن عندي لأحاديث ما حدثت بها قط ، ولا سمعت مني ، ولا أحدث بها حتى أموت ، وقال مالك يوماً : سمعت من ابن شهاب أحاديث لم أحدث بها إلى اليوم .

فقال له قائل : لِمَ يا أبا عبد الله . فقال : لم يكن العمل عليها فتركتها .

ورد مالك على السائل هو المفتاح الذى نفسريه هذا الموضوع الذى يتساءل عنه الناس كثيراً ، وذلك أن مالكاً رضى الله عنه كان قد اتخذ مبادئ نقدية محددة لقبول الحديث منها :

١ - أن يكون المُحدِّث من رجال الحديث متخصصاً فيه .

٢ - وأن يكون صاحب ذاكرة قوية .

٣ - وألا يكون من أصحاب الأهواء .

٤ - وألا يخالف الحديث أصلاً من أصول الدين .

٥ - وألا يتعارض في وضوح مع عمل أهل المدينة .

فإذا فقد شرط من هذه الشروط في الحديث فإن مالكاً لا يرويه ، ومع أن ابن شهاب ثقة ، ومع أنه من شيوخ الإمام مالك فإنه لما تعارضت بعض أحاديثه مع عمل أهل المدينة لم يرو الإمام عنه ما تعارض عنها وهكذا فيما روى لما لم يستكمل شروط الصحة .

في شرح قول رسول الله ﷺ

« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نرى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه . »

يدلنا هذا الحديث الشريف على أن صحة الأعمال الصالحة ، إنما هي بالنية الخالصة لله ورسوله .

والواقع أنه ليس الأمر أمر النية فحسب ، وإنما الأمر أيضاً خلوص النية في أعمال الخير كلها ، ومعنى خلوص النية أن يريد الإنسان بالعمل الصالح وجه الله وحده عن الضحاك بن قيس قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله تبارك وتعالى يقول : أنا خير شريك ، فمن أشرك معي شريكاً فهو لشريكى ، ثم يقول رسول الله ﷺ : يأبىها الناس أخلصوا أعمالكم ، فإن الله تبارك وتعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له ولا تقولوا هذه لله وللرحمة فإنها للرحم وليس لله منها شيء . ولا تقولوا هذه لله ولوجهكم ، فإنها لوجهكم وليس لله منها شيء . »

في حديث

« الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا »

* * *

ظاهر المعنى أن كل امرئ يتصرف بما طُبِعَ عليه ، فأهل الخير والبر والإحسان إذا لَبِنَ الله قلوبهم بالإيمان الكامل وعمَّرها بالعلم النافع كانوا خير الناس لتوافر الدافعين : أولهما : العلم المبين للخير والمميز للأصلح . وثانيهما : حسن المعدن وكرم الأصل في التزام المروءة وتحري الخير .

في بر الوالدين

روى أبو داود عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال : يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتها ؟ قال : نعم : الصلاة عليهما والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقيهما .

ومن المستحب للأموات قراءة القرآن في البيوت بعيداً عن المقابر - مع عدم إهمال الدعاء والاستغفار وفاء بحقها قياماً بحق برهما (وقل رب. ارحمهما كما ربياني صغيراً) .

أما إذا تركها المسلم فيكفيه منها الدعاء والاستغفار وإلا كان مقصراً في حق والديه ناكراً
لجميلها عليه ، ومن سمات المؤمنين الوفاء وسيعاقب بقدر تفريطه وإهماله .

في معنى علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل

لم يعتبر المحدثون الكلمة القائلة : علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل لم يعتبروها حديثاً ، ولم تثبت
عندهم ، وإن كان معناها في ذاته صحيحاً فإن أنبياء بني إسرائيل كانوا قائمين بالوحي المتتابع على
حفظ دين الله . ولما ختمت النبوة بسيدنا محمد ﷺ قام على الدين - جيلاً بعد جيل - العلماء
الأثبات والحفظة والثقاة .

في حديث

« الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها »

رواه أبو داود والحاكم وابن ماجه وأبو سعيد الخدري

* * *

ومعناه التوجيه إلى دوام تطهير الثياب من النجاسة وهذا ما فهمه أبو سعيد الخدري حينما طلب
ثياباً جديدة يستعد بها لاستقبال الموت ، وقيل إن المراد بالثياب العمل أى يبعث على عمله الذى
مات عليه حسناً أو قبيحاً ، والذى نراه أن المراد الثياب الملبوسة وأن الحديث يفيد وقوع البعث
للأجساد بأوضح بيان حيث إن البعث يشمل الثياب التى مات الإنسان فيها فضلاً عن الجسد .

في حديث

« ارحموا اليتامى وأكرموا الغرباء . . إلخ »

ليس بالقوى ، فقد قال ابن الدبغ الشيباني وردت أحاديث في إكرام الغرباء وكلها ضعيفة
ومن المعروف أن الإسلام يحث على إكرام اليتيم ، ويجعل أكل أموال اليتامى أكلاً للنار في البطون .
والله تعالى يقول لرسوله ﷺ يحث على إكرام اليتيم ويجعل أكل أموال اليتامى أكلاً للنار في
البطون : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً ، وسيصلون
سعيراً) . والله تعالى يقول لرسوله ﷺ : (ووجدك يتيماً فأوى) وأما المراد بالغريب هنا فلعنه
غريب الدين ، إن الذى يتمسك بدينه حال الفتن وانتشار الضلال كالغريب كما في حديث بدأ
الإسلام غريباً . فطوبى للغرباء قيل ومن الغرباء قال : الذين يصلحون إذا فسد الناس .

في شرح حديث

روى البخارى ومسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر ، والبر يهدى إلى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار ، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » .

وقد تحدث رسول الله صلوات الله عليه عن علامات المنافق ، فكانت العلامة الأولى من علاماته حسبما رواه البخارى ومسلم أنه « إذا حدث كذب » .

فالكذب إذن بجانب للإيمان ، وهو كما يروى عن رسول الله صلوات الله عليه يسود الوجه ، من كل ذلك نتبين : أن الكذب حرام ، وأن الكاذب آثم ، ومما له مغزاه : إن بعض الفرق الإسلامية تجعل حرمة الكذب أشد من حرمة الزنى والسرقة والله سبحانه وتعالى يقول : (إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) .

شرح حديث

عن أبي هريرة رضى الله عنه فيما رواه مسلم قال : قال رسول الله ﷺ « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يخرجن منها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا كذا » .

• • •

إن هذا الحديث الشريف يساند الآيات القرآنية التي تحدد موقف الإسلام من تبرج المرأة تحديداً لا لبس فيه

يقول سبحانه : (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) .

يأمر الله تعالى المسلمات ألا يبدن من زينتهن إلا ما ظهر منها ، وهو الوجه والكفان ، وأن الإيمان السليم ، والإسلام الصحيح ، والخلق الكريم ، كل ذلك يريد للمرأة إجلالاً لها واحتراماً - أن تنأى بنفسها وتسمو بكرامتها عن أن تعتبر نفسها سلعة تعرض نفسها شبه عارية في الشوارع والمجتمعات على أنظار المارة والمجتمعين .

وما من ريب في أن المرأة العاقلة تأبى عليها عزتها ، ويأبى عليها دينها ، أن تضع نفسها متعمدة موضع الخسة بكشفها ما حرم الله أن يكشف ، وأن تعرض نفسها في غير كرامة إلى أن تصب عليها لعنة الله والملائكة وصالح المؤمنين .

ومما لا شك فيه أن الشبان فضلاً عن الرجال يحتقرون ويزدرون هذه السلع من الفتيات والنساء اللاتي يعرضن أجسادهن رخيصة مهينة وأن الملاحظة العابرة عن الملاحظة المتروية ترشد في صورة واضحة إلى أن احترام الشبان والرجال إنما هو للمحتشبات في الطرقات والمواصلات . يقول الله تعالى : (يأبىها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيين) .

في شرح حديث

« المؤمن للمؤمن كالبنان يشد بعضه بعضاً »

• • •

فما هو التطبيق الواجب لهذا الحديث بالنسبة للاعتداءات الإسرائيلية على الأماكن المقدسة وأرض العرب .

التطبيق الواجب لهذا الحديث هو أن على المسلمين أن يعلموا أن الجهاد واجب مقدس على كل مؤمن ومؤمنة كل فيما يخصه ، وللجهاد مقدمات تحرز له النصر وتأنى بالمجاهدين عن الهزيمة . تلك المقدمات هي قيام كل مؤمن ومؤمنة بواجب السمع والطاعة : (يأبىها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم) سورة الأنفال آية ٢٤ .

والنصر الذي يريد كل مجاهد من الله لا يأتي إلا بمعونته ومدده وهما لا يكونان لمن انخرق عن صراط الله الذي أمرنا به قال تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) ، سورة الأنعام .

ولأنه جل جلاله جعل نصره للمؤمنين مترتباً على نصر المؤمنين لدينه قال تعالى : (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) . سورة محمد .

وقال تعالى : (ولينصرن الله من ينصره) ، ولا انحراف لبعض المخاربيين في جيش رسول الله يوم حنين حلت الهزيمة بالمسلمين أولاً ، ولما تابوا إلى رشدهم أنزل الله عليهم سكينته وأمدهم بجنده وتوجههم بنصره .

قال تعالى : (ويوم نحين إذ أعجبناكم كثرناكم فلم تغن عنكم شيئاً) . . إلى قوله (جزاء الكافرين) . سورة التوبة .

فهما استعد المسلمون بالسلاح والرجال فإنهم لن يحرزوا نصراً ، ولن يأتيهم مدد الله عز وجل بالملائكة وغيرهم إلا إذا استمسكوا بدينهم وجعلوه شعارهم في كل شيء فحسبنا في هذا قول الله تعالى : (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب) . . . إلى (شديد العقاب) : سورة الأنفال . ويقول النبي ﷺ ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما قر في القلب وصدقه العمل قال تعالى : (بأيتها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) . سورة الأنفال .

وذكر الله فيه الصلوات وغيرها من الفرائض وينتظم الذكر المعروف الذي هو تنزيه الله وتهليله وحمده وهذا النوع من الذكر لا يستعصى على المجاهد في سبيل الله ، بل إن الصلاة نفسها يستطيع أن يؤديها المجاهد وهو يقود الطائرة والدبابة والسيارة ، ويصوب المدفع إلى صدر عدوه ، ويستطيع أن يؤديها وهو يمشى على رجليه ، وذلك بأن يشير برأسه إلى الركوع والسجود وغيرها من أركان الصلاة قال تعالى : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين . فإن خفتم فرجالا أو ركبانا فإذا أمنتم فاذكروا الله) . سورة البقرة .

وإسرائيل التي تعاني منها لا تستطيع الصمود أمام قوم أبرهم فأمدهم بيدهم وأيدهم بنصره وعليهم أن يستكملوا عدة الجهاد من أنواع السلاح كافة ، ثم ينطلقوا يحافظهم إلى تلك البقاع المقدسة غير مستجيبين لنداءات مجلس الأمن وهيئة الأمم فإنها لم تنشأ لخدمة الإسلام بقدر ما أنشئت لخدمة المطامع الاستعمارية .

إن هذا الحديث الشريف يساير القرآن الكريم والروح الإسلامية كلها ، ويشرح ما يجب أن يكون عليه المسلمون في حياتهم من الاجتماع على الإيمان واتخاذها أساساً للوحدة والأخوة ، فالحديث الشريف يبدأ بقوله « المؤمن للمؤمن » ومعنى ذلك أن الانطلاق نحو الأخوة والمحبة والوحدة وجمع الشمل إنما يكون قائماً على الإيمان فإذا كان الإيمان أساساً أتى حتماً ما يترتب عليه من أن يشد المؤمن أزر المؤمن وأن يكون معه كالبنين المتناسك الذي تكون كل لبنة فيه مستندة إلى أخرى وساندة لها .

وإذا اتخذ الإيمان أساساً انتهى التفرق والخلاف ، وتحقق في العصر الحاضر ما تحقق في الماضي الذي عبر الله عنه بقوله تعالى : (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً) .

ولا بد من هذه الوحدة ، لا بد منها لمصلحة العرب أنفسهم من أجل أوطانهم ، ولا بد منها دينياً فالله سبحانه وتعالى يقول :
 (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) .
 ويقول سبحانه : (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين) .

والواقع أن الصهيونيين يعملون جاهدين بكل الوسائل على التفرقة بين المسلمين في كل مكان ، كان هذا وما يزال دأبهم وديدنهم وحادثه شاس بن قيس مشهورة .
 لقد مر على نفر من الأوس والخزرج في مجلس جمعهم فغاظه صلاح ذات بينهم وقال في نفسه ، قد اجتمع فلان وفلان قبله في هذه البلاد ونالنا معهم إذا اجتمع مَلُؤهم بها من قرار ، وأمر شاباً من اليهود كان معهم أن ينتهز فرصة يذكرهم فيها بيوم بعثت ، ذلك اليوم الذى انتصر فيه الأوس على الخزرج .

وتكلم الغلام وأنشدهم ما قيل في ذلك اليومين من أشعار ، فذكر القوم ذلك اليوم وتنازعوا وتفاخروا واختصموا ، وقال بعضهم لبعض إن شتم عدنا إلى مثلها ، وبلغ رسول الله ﷺ ذلك الأمر فخرج إليهم فيمن معه من الأنصار والمهاجرين ، فذكرهم بما ألف الإسلام بين قلوبهم وجعلهم إخواناً متحابين وكان مما قال « أدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية » وما زال بهم حتى بكى القوم وعانق بعضهم بعضاً واستغفروا الله جميعاً ، فما رأت يوم أقبح أولاً وأحسن آخراً من ذلك اليوم ، وما كانت هذه المؤامرة الأولى أو الأخيرة من مؤامرات اليهود ضد الأخوة العربية ولقد تغلب عليها العرب بمبدأ الأخوة التى غرسها الإسلام منهم .

وإذا كان هذا المبدأ قد نجح في الماضى فهو لا محالة ناجح في العصر الحاضر . وما لاشك فيه أن الصهيونية تعمل جاهدة على غرس بذور العداوة بين الدول العربية حتى يفشلوا وتذهب ريحهم ولكن السلام الوحيد الذى يجب أن نتحصن به دائماً لرد باطلهم الخبيث إنما هو التسك بالأخوة .

في شرح الحديث

« كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإنها تذكركم بالآخرة » .

* * *

فأباح صلى الله عليه وسلم بذلك زيارة القبور ، وعلل السبب في ذلك وهي تذكّر أمور الآخرة ، وما يتصل بها من الموت وعذاب القبر .

ويمثّل هذا الحديث ما رواه أحمد ومسلم وغيرهما عن زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، لقبر أمه وقوله فزوروا القبور ، فإنها تذكركم بالموت .

هذا بالنسبة للرجال :

أما بالنسبة للنساء : فإن كثرة زيارة القبور بالنسبة لهن ممنوعة ، لما روى من أنه صلى الله عليه وسلم لعن زوّارات القبور . .

قال القرطبي : هذا اللعن إنما هو للمكثرات من الزيارة ، لما تقتضيه الصيغة من المبالغة . . ولعل السبب ما يفرض إليه ذلك من تضييع حق الزوج . وما ينشأ منهن من الصياح ونحوه .

فإذا خفت زيارتهن . . ولم تقترن بسوء من كشف عورة أو قول قبيح ونحو ذلك فلا حرج منها لما روى من أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما تقول إذا زارت القبور فقال :

قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين . . يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين . . وإنا إن شاء الله بكم لاحقون .

وعلى ذلك فزيارة القبور مندوبة للرجال جائزة للنساء وبشرط ألا يقترن بها ما يتنافى مع الغرض منها وهو التذكير بالموت والتذكير بالآخرة .

في الشرك الخفي

الشرك الخفي مرادف للنفاق ، وذلك لأن النفاق أن يظهر المرء خلاف ما يبطن ، فيبدو المنافق في صورة المؤمن وهو في حقيقته من الكافرين ، أنه يستتر شركه ويخفيه ولكن الله تعالى يكشفه بعلاماته ، ويبرز أهم صفاته في كثير من الآيات القرآنية التي تحدد منابع الإيذاء في هذا الشرك ، وأسباب التنفير منه ، ومواطن الخطر الناتجة عنه ، يقول تعالى : (ومن الناس من يقول آمنا بالله

وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون .
في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) .

وتتابع الآيات في كشف صفاتهم وتمثيل حالهم بأظهر صورة ، وأبلغ تعبير . ويتبع عن هذا الشرك الخفي أو النفاق شرور كثيرة تلفح المؤمنين بأذاها ، وتلسعهم بشرورها ، ومن هذه الشرور المؤذية الرياء ، ويتحدث القرآن عن ذلك فيقول : (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً) .

ويتبع عن الرياء أن يعطى المسلم ثقة للمرائي ، فيستغل هذه الثقة في إيذائه وإيصال الشرور إليه ، ومن هنا قال الرسول ﷺ .

« إياكم وشرك السرائر ، قالوا : وما شرك السرائر يا رسول الله ؟ قال الرياء » . ومن الشرور المؤذية للشرك الخفي الحسد ، لقد كان المنافقون يفرحون لمصيبة المسلمين ويمزنون لما يسهروهم ، يقول تعالى : (إن تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِن تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَيتولوا وهم فرحون) .

وأظهر هذه الشرور المؤذية تبييط الهمم ، والعمل بالقول والفعل على إطفاء نور الإسلام والقضاء على المسلمين ، ويتمثل ذلك في وضوح فيما حدث في غزوة الأحزاب ، لقد كان الرسول ﷺ ، يبشر بالفتح وكان المنافقون يقولون : هذا محمد يعدنا بكنوز كسرى وقيصر ، وأخذنا لا يأمن على بيته بالمدينة ، ويصور القرآن ذلك فيقول :

(وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) . ويجمع صفات المنافقين في وضوح ، وشركهم الخفي المانع للخير الجالب للشر ، قوله سبحانه : (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ، فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه ، وبما كانوا يكذبون) .

أما الطريقة المثلى للتخلص من هذا الشرك وآثاره ، فتتمثل في العمل بقول الله سبحانه : (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً . سئته الله في الذين خلوا من قبل ولن نجد لسنة الله تبديلاً) .

في شرح الحديث

« مَنْ لَمْ تَنْهَ صَلَاتِهِ »

• • •

للعمل المقبول علامات ودلائل تدل عليه ، وترشد إلى بلوغ القصد به ومنه ، وقد حدد القرآن وحددت السنة كثيراً من هذه العلاقات والدلائل ، يقول تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقاً) . ويقول : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) . ويقول ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » .

ومن هذا الباب قوله تعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ولا يعني ذلك أن المخطئ لا تقبل له صلاة ، لأن الإنسان في حرب مع الشيطان ومهما كان تسلحه وتيقظه ، فقد تعثره غفلة أو فترة فيتمكن الشيطان منه فيقع في المعصية . . ولكن إيمانه القوي وعمله الصالح سرعان ما يعود به إلى ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن ويجد من عفو الله ومغفرته ما يتيح له السير من جديد في طريق الخير والصلاح . . وقد يقف المرء على حافة المعصية فيؤذن المؤذن فيدخل إلى الصلاة ، وما يكاد يفرغ منها حتى يجد نفسه وقد هدأت ، وغرأته وقد استسلمت ، ويقينه وقد استيقظ . فيحس بأثر الصلاة إحساساً في غاية القوة والظهور . وحديث : « من لم تنه صلواته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً » رجح الحافظ ابن كثير أنه من كلام بعض الصحابة لا من كلام الرسول ﷺ .

وليس من شك في أن الصلاة التي يداوم عليها المؤمن فلا تؤثر في سلوكه وقوله وعمله هي صلاة غير كاملة ، لأنها غير مؤثرة ، وعلى المؤمن إذا ما واجه المنكر ، أو قابل الفحشاء أن يتذكر موقفه بين يدي الله في الصلاة ليرتدع عن ذلك .

في محاربة اكتناز الأموال وحبسها

قال رسول الله ﷺ : « يهرم ابن آدم وتشب معه اثنتان : الحرص على المال ، والحرص على

العمر .

ما يجب شرحه :

- ١ - اثنتان : خصلتان سيئتان .
- ٢ - لماذا كان الحرص على المال والحرص على العمر؟

ما يراعى عند الحديث :

- ١ - كثر المال وعدم استخاره وحرمان المجتمع من الانتفاع به منهي عنه شرعاً في سبيل الحد من ضخامة الأموال أوجب الإسلام الصدقات ، وفرض الزكاة ، وجعلها ركناً من أركان الدين ، وأوجب المساهمة في نفقات ما يعرض للأمة وما يجب لها من عدة الدفاع لحفظ الأمن والنظام أو المساهمة في أعمال البر .
- ٢ - الآيات التي تتعرض للموضوع .
 (ليس البر) البقرة آية ١٧٧
 (وأنفقوا في سبيل الله) البقرة آية ١٩٥
 (والذين يكتزون الذهب والفضة) التوبة آية ٣٤
- ٣ - آفة الحرص على العمر .
- ٤ - الإسلام يدعو إلى بذل الروح رخيصة في سبيل الله والوطن .

في عدد الرسل من السنة

لم يرد في عدد الأنبياء والمرسلين أثر صحيح إلا ما روى عن أبي ذر رضي الله عنه ، وبسند قيل إنه مقبول ، وفيه . قلت يا رسول الله : كم الأنبياء ؟ . قال ، مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، قلت : يا رسول الله كم الرسل من ذلك ؟ - قال ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير كثير طيب . قلت : فمن كان أولهم ؟ - قال : آدم قلت : أنبي مرسل . . قال : نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسواه قبلاً ثم قال : يا أبا ذر . . أربعة سريانيون « آدم وشيث وخنوخ وهو إدريس وهو أول من خطَّ بقلم ، ونوح . . وأربعة من العرب ، هود وشعيب وصالح ونيك يا أبا ذر . . وأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى . وأول الرسل آدم وآخرهم محمد . فالذين كلفوا برسالة من الأنبياء بحسب هذا الحديث الذي قيل إنه مقبول ثلثمائة وثلاثة عشر ، والأنبياء الذين لهم

علاقة بمكة من حيث بناؤها أو النشأة فيها الذين ذكرهم القرآن الكريم هم إبراهيم وإسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام . والرسول الذين يتمون إلى العرب من هؤلاء كما في الحديث : هود وشعيب وصالح ومحمد عليه الصلاة والسلام .

أما الرسول والأنبياء الآخرون الذين لهم علاقة بمكة والأنبياء الآخرون الذين يتمون إلى العرب فلا يعلم عددهم إلا الله سبحانه . وهذا الذي ذكرناه هو أقرب الآراء إلى الصحة .

في حرمة العود في الهبة

قال صلى الله عليه وسلم فيما روى البخارى : (العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه) .
أى لا ينبغي لنا معشر المؤمنين أن نتصف بصفة ذميمة يشابهنا فيها أحسن الحيوانات في أحسن أحوالها .

قال تعالى : (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الأعلى) . ومن هنا حرم الإسلام على المرء الرجوع في هبته ولم يجوز له هذا الرجوع ولو دفع ثمن هبته لمن وهبها له في سبيل الحصول عليها .

روى البخارى بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : « حملت على فرس في سبيل الله فأضاعه الذى كان عنده ، فأردت أن أشتريه منه وظننت أنه بائع برخص ، فسألت عن ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : لا تشتريه وإن أعطاكه بدرهم واحد ، فإن العائد في صدقته كالكلب يعود في قيئه » .

لقد أعطى عمر رضى الله عنه رجلاً فرساً ليحارب عليه فأهمل الرجل العناية بالفرس أو رغب في بيعه بثمن بسيط وأراد عمر شراءه فمنعه النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك لأنه لا يحل .
فمن أسدى إلى شخص معروفاً يحرم عليه الرجوع فيه ، وإذا تصرف المهدي إليه في هذا المعروف فلا رجوع لصاحب المعروف عليه . وحجه بهذا المعروف نافذ ، ورجوع صاحب المعروف فيه لا يبطل الحج .

وثواب صاحب المعروف على ذلك مستمر حيث لم يحصل على ما رغب الرجوع فيه من المعروف وإن قل عن الثواب قبل الرغبة في الرجوع ، حيث دلت تلك الرغبة على ضعف عاطفة الخير عنده .

في السُّنةِ الحسنةِ والسُّنةِ السيئةِ

« مَنْ سَنَّ سُنَّةَ خَيْرٍ فَاتَّبَعَ عَلَيْهَا فَلَهُ أَجْرُهُ وَمِثْلُ أَجْرِهِ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئاً وَمَنْ سَنَّ سُنَّةَ شَرٍّ فَاتَّبَعَ عَلَيْهَا كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهُ وَمِثْلُ وَزْرِهِ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئاً » .

• • •

إن أعمال الخير يُثاب عليها مَنْ فعلها ومن اقتدى به في فعلها ، وإن ثواب المبتدئ بفعلها يزيد بزيادة عدد من اقتدى به فيها ، إذ له مثل أجر من اقتدى به ، ولكن هذه الزيادة بسبب اقتداء الناس به لا تؤثر في أجر المقتدى ، فلا يتوهم إنسان أن زيادة أجر الداعي إلى الخير أو من ابتدأ العمل الصالح تكون بالتقيص من أجر التابع وضمه إلى أجر الداعي .

إن الأمر ليس كذلك بل للتابع أجره كاملاً وللمتسبب الأصلي أجر دعوته إلى الخير بفعله أو بقوله فضلاً عن أجر عمله للخير إذا فعله ولهذا عظم شأن الفقيه الداعي المنذر حتى فضل على العدد الكثير من العباد ، لأن نفعه يعم الأشخاص والعصور .

وإذا كان هذا العمل الصالح فالأمر في العمل غير الصالح على العكس ، إن من دعا إلى ما يخالف الدين يحمل وزر عمله ، وإذا اقتدى به غيره فيه تحمل المقتدى وزر عمله ، وتحمل المتسبب وزر التسبب في هذا العمل .

ومما ينبغي أن يفهم أن قوله ﷺ : « وَمِثْلُ أَجْرِهِمْ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئاً » لا يستلزم المساواة في قيمة الأجر بل المثلية تتحقق بمجرد حصول الأجر لكل منها وإن اختلفت قيمة الأجر على العمل عنها عن التسبب في العمل ، والأمر بالعكس في العمل السيئ .

ومن هنا يمكننا أن نفهم قيمة القدوة وأهمية الوظائف العليا أو مراكز التوجيه والتأثير وما يتحمل أصحابها من مسؤوليات تجلب لهم الخير إن أصلحوا وتوقعهم في الشر المستمر إذا أساءوا أو انحرفوا .

والأمثلة كثيرة ، ففرق بين من يدعو إلى الله على بصيرة ومن يدعو إلى طريق الشيطان والهوى على أساس من العمى والضلال ، وفرق بين من تربي أبناءها على الدين ومن تربيهم على الاستهتار بتعاليمه ومبادئه في الزي والخلق والسلوك : (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) .

عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضى الله عنه قال :
 « قلت يا رسول الله ، قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال : « قل آمنت بالله
 ثم استقم » ما معنى هذا الحديث ؟ .

الإسلام يقوم على دعامين أساسيتين : الإيمان والعمل الصالح ، فعبر الرسول ﷺ فى هذا
 الحديث عن الإيمان بقوله : قل آمنت بالله ، فإذا كان المرء مؤمناً فإن المراد بقوله ﷺ : قل
 آمنت بالله ، جدد شعورك بها وردد كلمة التوحيد بلسانك ، وعاشها بكيانك .

ثم عبر عن العمل الصالح بقوله ثم استقم ، أى الزم الطاعات واجتنب المخالفات ، ولازم
 الأعمال الصالحات ، قال تعالى : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا
 تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة
 ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ، نزلنا من غفور رحيم) . والاستقامة عرفها
 بعضهم بأنها المتابعة للسنن المحمدية ، ومع التخلص بالأخلاق المرصية وهى كما قال القشبرى .
 درجة بها كمال الأمور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها .

وهى تستلزم مراقبة الأعمال ومتابعة الشرع وعدم الخروج على حدوده بحال .
 ومن هنا كان دعاء المؤمنين فى كل صلاة عدة مرات : (اهدنا الصراط المستقيم) فعلى المسلم
 أن يتبين طريقه على أساس من الدين ، وأن يتجنب الانحراف ، فالخير فى الاتباع ، والشر فى كل
 ابتداع .

فى إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

ولقد كان رسول الله ﷺ ، أحسن الناس خلقاً ، لقد ربط حسن الخلق بالإيمان ، فقال فى
 حديث صحيح رواه الترمذى .

« أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً »

وفى حديث آخر رواه أبو داود ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : سمعت النبى ﷺ
 يقول : « إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » والخلق الإسلامى الأول الذى من
 أجله كانت الرسالة الإسلامية نفسها إنما هو خلق الرحمة ، ولقد روت الأحاديث أن أعرابياً دخل
 على رسول الله ﷺ ، فوجده يقبل أحد حَمَدته فاستغرب الأعرابى وقال : « أتقبلون أبناءكم ؟

إن لي عشرة من الأبناء ما قبلت أحداً منهم قط ، فقال رسول الله ﷺ : « أو أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك ؟ » .

وفي موقف آخر مثل هذا قال رسول الله ، لأعرابي آخر : « ابتعد عني لا تحرقني بنارك » ويقول رسول الله ﷺ : « لا تُتزع الرحمةُ إلا من قلب شق » .

بل إن رسول الله ﷺ ، لم يقبل تفسير الرحمة على أنها خاصة بالأهل والعشيرة ، مقتصرة عليهم ، فقد قال في وجه من فسر الرحمة بذلك : « أنا أعني الرحمة العامة » .

فمن أساء لأبنائه ، فقد نزع الرحمة من قلبه ، ودخل بذلك في عداد الأشقياء وقطع رحمه ، ودخل بذلك في عداد هؤلاء الذين قال الله فيهم :

(أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) .

وذلك أن هذه الآية ، نزلت في الذين يفسدون في الأرض ويقطعون أرحامهم . ولقد كان رسول الله ﷺ ، ذا رحمة بالحيوانات ، وهو القائل : الشاة إن رحمتها رحمتها رحمتك الله .

فعل كل إنسان بصورة عامة أن يتحلى بصفة الرحمة حتى يدخل في نطاق قوله ﷺ :
الراحمون يرحمهم الله ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .

في حق التوكل على الله

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيما رواه الإمام الترمذى وحسنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خالصاً وتروح بطناً » .
فإن الطير تذهب أول النهار ، كما يقول الإمام النورى خالصاً ، أى ضامرة البطون من الجوع ، وترجع آخر النهار بطناً أى ممتلئة البطون ، والواقع أن الحديث الشريف يوجه الأذهان إلى أن الطير تصبح فتذهب للبحث عن رزقها ، تصبح جائعة فتعمل وتجتهد في طلب الرزق وبعد رحلة عمل مستمر ساعات تعود إلى عشها ممتلئة البطن شعباً ورياً .

ورسول الله ﷺ لم يقل : إن الله يرزقها وهى ساكنة فى عشها ، وقد كان رسول الله ﷺ إمام المتوكلين ، وكان إمام المجاهدين المكافحين الآخذين بالأسباب ، وسيدنا « أبو بكر » رضى الله عنه حينما بويع بالخلافة ، أصبح ذاهباً إلى السوق ، يتجر كعادته ، فتكاثرت عليه المسلمون قائلين كيف تفعل ذلك ، وقد ألفت لخلافة النبوة ؟ فقال لهم : « لا تشغلونى عن عيالى ، فإني إن

أضعتم كنت لما سواهم أضيع » حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين .
 لقد كان كبار الصحابة رضی الله عنهم ، يعملون ، ويكتسبون ، وكانوا مع ذلك من كبار
 المتوكلين ، وما ينبغي التنبيه له أن أنبياء الله ورسله لم يبلغوا الدعوة وهم في مساكنهم آمنين
 مطمئنين ، وإنما جاهدوا في سبيلها جهاداً مستميتاً وكانوا في جهادهم مثلاً كريماً للمتوكلين يقول
 الله تعالى على لسان سيدنا هود عليه السلام :

(إني توكلت على الله ربي وربكم ، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط
 مستقيم) .

أخذ « هود » عليه السلام يعمل على نشر الحق الموحى إليه ، الحق الذي دعا إليه كل نبي
 ورسول ، والذي يتلخص فيما قال هود عليه السلام .

في شرح حديث زيارة المريض وتشيع الجنابة

عن أبي سعيد رضی الله عنه - فيما رواه الإمام أحمد : أن النبي ﷺ قال : « عودوا المريض
 وامشوا مع الجنابة ، تذكركم الآخرة » . وقول رسول الله ﷺ : « مع الجنابة » لا يوجب تقدماً
 ولا تأخراً وإنما في معنى الإباحة في المشى في المقدمة أو خلف الجنابة .
 ومن أجل ذلك يقول أنس بن مالك رضی الله عنه .
 « الراكب يسير خلف الجنابة ، والماشي يمشي خلفها وأمامها ، ومن يمينها وعن يسارها ،
 قريباً منها .

وكان أبو بكر وعمر رضی الله عنهما يمشيان أمام الجنابة ، وكان على رضی الله عنه يمشي
 خلفها ، ويقول رسول الله ﷺ : الراكب يمشي خلفها .
 والواضح من كل ذلك أن الماشي بالخيار في سيره مع الجنابة أما الراكب فإنه لا يسير إلا
 خلفها .

وسواء أكان الماشي مع الجنابة أمامها أم خلفها فإن من السنة ألا يرفع صوته بقراءة أو بذكر
 وعليه أن يتدبر الموت ويعتبر به ، فإن أراد ذكراً فليذكر في نفسه .

ومن السنة ألا يقعد مشيع الجنابة حتى توضع ، فقد روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ
 قال : إذا رأيت الجنابة فقوموا ، فمن تبعها فلا يقعد حتى توضع ، ومن السنة ألا يتبع الجنابة
 نساء ، فقد روى ابن ماجه وروى الحاكم عن علي رضی الله عنه قال : خرج النبي ﷺ ، فإذا

نسوة جلوس فقال : ما يجلسكن ؟ قلن : نتنظر الجنازة قال : هل تفسلن ؟ قلن لا : قال هل تحملن ؟ قلن : لا : قال : هل تدلين فيمن يئلى ؟ قلن : لا قال : فارجمن مأزورات غير مأجورات .

في شرح حديث السبعة الذين يظلمهم الله في ظله

السبعة الذين يظلمهم الله تحت ظله ورد ذكرهم في الحديث الصحيح الذى أخرجه البخارى ومسلم بسندهما عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله » :

إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شامه ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه .

وأما بدوّه ﷺ بالإمام العادل : فلأن العدل من جوهر شريعة الله سبحانه وتعالى : إذ به يرتفع الجور والظلم من الأرض ، وبه ينتشر الأمن والطمأنينة بين الناس ، يأمنون على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، فلا قتل ولا اغتيال للأنفس ، ولا سلب ولا اختلاس ولا اغتصاب للأموال ، ولا تعدى ولا انتهاك للأعراض والحرمات .

ويطمثون على أرزاقهم - في اليوم والغد والمستقبل - جادين في السعى لتحصيلها مما أحله الله لهم في أرضه الواسعة ، وكفله لعباده من النعم في الدنيا إن هم أقاموا ما أمرهم الله وانتهوا عما نهاهم عنه سبحانه ، وكل ذلك لا يتحقق ولا يتم إلا بإقامة العدل في الأرض ، ولا يتأتى هذا إلا أن يقوم به رجل موفق يرجو الآخرة ويرجو رحمة ربه ويعمل على الخير على تحقيق الخلافة في أرض الله بإقامة شرائعه .

ذلكم هو الإمام العادل الذى ائتمر بأمر ربه : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان . .) والقائل : (وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) لذلك كانت له البشرية في الحديث بأن يكون في ظل الله يوم لا ظلّ إلا ظله ، وبأن يكون مقدماً في الذكر .

وقد توالى عليه البشرى في الدنيا والآخرة (إن الله يحب المقسطين) . والرسول ﷺ يقول : « خياركم أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم . . وشراركم أئمتكم الذين تبغضونهم

ويغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم». كما يقول ﷺ أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربنى مسلم وعفيف متعفف ذو مال .
وهذا وغيره كثير يوجب على أئمة المسلمين أن يحققوا العدل فى الأرض ويحكموا بين الناس بما أنزل الله .

وذكر هؤلاء السبعة : لا يعنى أن الأمر مقصور عليهم ، إذ العمل بأمر الله فرائض ونوافل وقربات . . . والانتها عما نهى عنه مع الإخلاص وصدق النية فى كل عمل يجعل من الإنسان ولياً يحظى بالقرب والحب الإلهى : وسن حظى بالقرب والحب لم يقتصر الأمر معه على أن يكون فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله وحسب ، بل له فى الدنيا البشرى وله فى الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وانظر إلى قوله تعالى : فى وضوح واضح عن أوليائه الذين اتسمروا بأمره وانتهاها عما نهاهم عنه (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم .) وقوله تعالى : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تحافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما توعدون . نُزلاً من غفور رحيم) .

فى وعظ الرجال والنساء يوم العيد

عن جابر بن عبد الله قال :

قام النبى ﷺ يوم الفطر ، فصلى ، فبدأ بالصلاة ، ثم خطب فلما فرغ نزل ، فأقى النساء ، فذكرهن ، وهو يتوكأ على يد بلال ، وبلال باسط ثوبه ، يلقي فيه النساء الصدقات . . . قال ابن جريج : قلت لعطاء : زكاة يوم الفطر؟ قال : لا : ولكن صدقة تصدقن حينئذ تلقى قيحها^(١٤٩) . قلت : أترى حقاً على الإمام ذلك ، ويذكرهن قال : إنه لحق عليهم ، وما لهم لا يفعلونه .

وفى الحديث من الفوائد :

استحباب وعظ النساء وتعليمهن أحكام الإسلام ، وتذكيرهن بما يجب عليهن ويستحب

(١٤٩) القحح : الخاتم العظيم يلبس فى الرجل أو الخاتم العظيم بلا فص .

حُثِنَ عَلَى الصَّدَقَةِ ، وَتَحْصِيصَهُنَّ بِذَلِكَ فِي مَجْلِسٍ مُنْفَرِدٍ - وَمَعْلُومٌ ذَلِكَ كُلُّهُ إِذَا أَمِنَ الْفِتْنَةُ وَالْمُفْسَدَةُ .

وفيه خروج النساء إلى المصلى .

عن أم عطية قالت : قال رسول الله ﷺ « ليخرج العواتق وذوات الخدور ، والحيض ، وتعزل الحيض المصلى ، وليشهدن الخير ودعوة المؤمنين » . .

قال ابن حجر : وفيه استحباب خروج النساء إلى شهود العيدين ، سواء كن شواب أم لا . .
ذوات هيآت أم لا .

وعن أم عطية قالت : أمرنا أن تخرج العواتق وذوات الخدور .

وعنها قالت : أمرنا أن نخرج ، فتخرج الحيض والعواتق وذوات الخدور .

في السيدة سارة زوجة الخليل إبراهيم عليه السلام

السيدة سارة زوجة الخليل إبراهيم كانت مصاحبة له حين قدم إلى مصر ، وكان ملكها وقت ذلك من الطغاة الذين يملوهم أن يستحذوا على ما يعجبهم من زوجات الآخرين فأوصاها سيدنا إبراهيم أن تخبر هذا الطاغية حين يسألها عن صلتها بإبراهيم بأنها أخته ويقصد بذلك أنها أخت في الدين ، فليست سارة أختاً لإبراهيم من النسب بل هي زوجته وأخته في الإسلام .

روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات ، اثنتين في ذات الله قوله : (إني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وواحدة في شأن سارة ، فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة ، وكانت أحسن الناس فقال لها : إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتى يغلبنى عليك ، فإن سألك فأخبريه أنك أختى في الإسلام فإنى لا أعلم فى الأرض مسلماً غيرك وغيرى - فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه فقال له لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك ، فأرسل إليها فأتى بها ، فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة ، فلما دخلت عليه لم يتألك أن بسط يده إليها فقبضت يده قبضة شديدة ، فقال لها ادعى الله أن يطلق يدي ولا أضرك ففعلت فعاد فقبضت أشد من القبضتين الأولين ، فقال ادعى الله أن يطلق يدي فلك الله لا أضرك ففعلت فأطلقت يده ودعا الذى جاء بها فقال إنك إنما آتيتنى بشيطان ولم تأتى بى فلك الله لا أضرك ففعلت فأطلقت يده ودعا الذى جاء بها فقال إنك إنما آتيتنى

بشيطان ولم تأتى بى فلك الله لا أضرك ففعلت فأطلقت يده ودعا الذى جاء بها فقال إنك إنما آتيتنى

الحديث الذى أخرجه البخارى فى أحاديث الأنبياء وأخرجه مسلم فى الفضائل وورد مثل ذلك

في حديث الشفاعة في فصل القضاء يوم القيامة وفيه أنهم جميعاً يأتون إبراهيم عليه السلام يطلبون منه الشفاعة ، يقول لست لها إني كذبت ثلاث كذبات . . (قوله إني سقيم ، وقوله بل فعله كبيرهم هذا ، وقوله لامرأته أخبره إني أخوك) .

فالصحيح أن السيدة سارة زوجة سيدنا إبراهيم لم تكن أخته من النسب بل هي أخته في الإسلام ، والكذب المنسوب لسيدنا إبراهيم لا يقدر في النبوة لأنه ليس كذباً على سبيل الحقيقة بل هو من قبيل المعارض وإبراهيم عليه السلام قد صرح بذلك ، إذ قال إنك أختي في الإسلام وحينئذ فليس فيه نسبة الكذب حقيقة إليه وامتناعه في الشفاعة عن الشفاعة لأنه يرى أنه وإن لم يرتكب خطأ فقد ارتكب ما هو في صورة الخطأ .

في الحديث رجعتنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

فقد روى الخطيب جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : قدمتم خير مقدم ، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر .

إن الظروف التي قيل فيها هذا الحديث الشريف تليق بالضوء على المعنى الذي أرادته الرسول ﷺ : وذلك أنه بينما كان الرسول ﷺ راجعاً من إحدى الغزوات قال : قدمتم من الجهاد الأصغر : أى من الجهاد الحربي وهو جهاد في سبيل الله قد يشوبه عند بعض الناس ما يشوب النفس التي لم تخلص بعد إخلاصاً كاملاً لله سبحانه وتعالى ، ومثل ذلك ما رواه أبو داود بإسناد جيد عن أبي أمامة قال :

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ، ماله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لا شيء له » فأعادها ثلاث مرات ويقول رسول الله ﷺ « لا شيء له » ثم قال ﷺ « إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه » .

ومعنى الذكر في الحديث الشريف أن هذا الرجل يلتمس مع الأجر والثواب أن يتحدث الناس على شجاعته وأن يمدحوه ، وأن يكون من أصحاب الشهرة والثناء فيما بينهم ، ومثل هذا لم تخلص نيته لله وحده .

أما الجهاد الأكبر فإنه جهاد النفس حتى تنزكى وتطهر ، فإذا ما تركت النفس وتطهرت ، فإن

صاحبها يهب نفسه خالصة في سبيل الله فهو يجاهد الجهاد الحربي بروح لا تبالي على أى جنب كان في الله مصرعها ، ويجاهد الجهاد الحربي بإيمان قد وضح في عناصره أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، ويجاهد الجهاد الحربي وقد تشبع بالمبادئ الإسلامية في الحرب وفي قوله تعالى مخاطباً المؤمنين مبيناً لهم ما يجب عليهم عند اللقاء والتحام الصفوف .
 (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين . ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط) . سورة الأنفال الآيات ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ومن ذلك نتبين أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر لأنه الأساس لكل خير ، فهو الأساس للأمن في المجتمع وهو الأساس للثبات والصبر والنصر على الأعداء في الجهاد الحربي .
 يقول الله سبحانه : (قد أفلح من زكاها) (سورة الشمس) .